السلام عليكم

دراسة في أدبيات السلام الإسرائيلي

شالوم عليخم



الناشر

محمود ثابت الشاذلي

سلام عليكم لا السلام عليكم

دراسة فى أدبيات السلام الإسرائيلى

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ .

« قرآن كريم »

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

اللّهم اهدنا .. واهدِ غيرنا .. إلى الصراط المستقيم . ونسألك - سبحانك - أن يعم السلام البّشرية جمعاء بكل أجناسها أسود أو أبيض ، أم أصفر أو أشقر ، إنك سميع مجيب الدعاء .

فنحن أمة تؤمن بالسلام فى الأرض والسماء ونرجو غيرنا أن يكونوا مثلنا فى هذا الإيمان لا يخالطه شك أو تحتويه ريبة ، تجعل السلام شعاراً كاذباً بعيد المنال .

ولما كان بيننا وبين بنى عمنا الإسرائيليين اتفاقية سلام أو صلح - سمها أو سمه ما شئتَ - رأيتُ أن أدرس أدبيات السلام الإسرائيلى من مصادرها الأصلية من غير إغفال عن الترجمة العبرية من أساتذة مقتدرين ودون إهمال للكتاب المقدس .

وإذا كان السلام له ظروفه وموازينه والقوى البّشرية المحركة له ، إلا أنَّ ذلك لا يجعله يخرج عن كونه السلام ولا شئ سواه .

والكتاب لا يقصد به صاحبه أن يدق طبول الحرب إنما هو كتاب ضد سلسلة التيارات المناهضة للإسلام .

والإسلام لا يعنى إلا السلام ولا أحد يلوم أحداً وهو يدافع عن دينه وتاريخ أمته ويجعل الصورة واضحة الظلال .

والكتاب يدافع عن دينه وتاريخه وأمته ... وليس لأحد أن يقول إنه مخالف لاتفاقات سلام أبرمت ...

إنَّ الكتاب يعنى السلام وصورته عند الطرف الآخر .

وإذا ما قال أحد بأنَّ القدس ستبقى قُدس الأقداس فى الهيكل المزمع إنشاؤه ، فإننا نقول - والنفس ممتلئة إيماناً - بأننا من ناحيتنا : ستبقى القدس قُدس الأقداس من ديننا وتاريخنا وأُمتنا ...

وستصبح مدينة الصلاة ونضعها فى موضعها الصحيح «مدينة السلام لكل الأديان » .

ومدينة السلام والصلاة - قُدس الأقداس - التى نهتف بها غير « أورشليم الذهبية » للشاعر « ناعومى شامير » وغناها « شولى ناثان » التى اعتبرها خالية من كل شئ حتى الجبل المقدس ، ونسى أنَّ الناس يؤدون صلواتهم الخمس فى مسجد عمر ومسجد قبة الصخرة ، وأنَّ الحافلات تعبر يومياً من أريحا إلى القدس .

وقد قلت فى كتابى « الماسونية .. عقدة المولد وعار النهاية » «أننى قد حاولت قدر طاقتى أن أتحرى الأقوال وأستقصى الحوادث، وأتتبع المعلومات من مصادرها ومواقعها ، أتوخى الحقيقة فى الطلب وأجلى عن الصورة كل غبش ، حتى لا يختلط حق بباطل فلا تخطئ العين تقدير الأبعاد » .

« فإن أصبتُ فبتوفيق من اللّه ، وإليه - سبحانه - يرجع الفضل ويعزى السداد » .

وإذا كانت فصول الكتاب قد كتبت فإننى مطمئن إلى كل كلمة جاءت مترجمة عربية لأساتذة مقتدرين ومن كتب أيضاً لأساتذة عبريين أو درسوا العبرية دراسة الواعى المتمكن .

فإذا كتبنا « هملحما هاباءا » و « فى الشعر العبرى » و « الوصايا العشر » و « إسرائيل من الداخل » و « ڤيروس التوراة » ، و « زعماء إسرائيل فى المرآة » و « أورشليم الذهبية » و « زهرة المدائن » و « شجرة التين » و « هرمجدون » و « هاتكفاه » ... إلخ ، فإنما استقيناها من مصادرها العبرية أو ترجمة عبرية أو دارس للعبرية .

فليس من طبيعتى أن ألصق كذباً أو تزييفاً بأبناء العم .

فإننا - والحمد للّه - لا نلصق كذباً أو بهتاناً بأبناء العم - هذه واحدة ، والثانية أنَّ الكذب ليس له أقدام يقف عليها ، والثالثة أنَّ الكذب - طال به الوقت أم قصر - هو الكذب ولا شئ سواه .

وغريب أن يكون كتاب « شالوم عليخم » ضمن السلسلة التى وفّقنى اللّه لكتابتها لفضح التيارات المناهضة للإسلام وتعريتها .

ولا ضرار فى أنَّ أحداً يدافع عن دينه وأُمته وتاريخه . فالإسلام ليس دين الأمة فحسب بل هو قُدس الأقداس من حركتها العاملة ... وهذه حقيقة التاريخ على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان .

والمعجَب هنا أنَّ كتابنا هذا بتعدد محتوياته هو كتاب واحد . فإذا كتبنا مثلاً « فى الشعر الإسرائيلى المعاصر » و « هملحما هاباءا » و « شجرة التين » و « هرمجدون » و « هتكفاه » و « تمزيق الوصايا العشر » و « زعماء إسرائيل فى المرآة » و « إسرائيل من الداخل » و « ڤيروس التوراة » و « أورشليم الذهبية » و « زهرة المدائن » .. فإننا فى هذه الحالة - وللمرة الثانية - نستقى الأصول من التوراة ومن الأدبيات الإسرائيلية قديماً وحديثاً .

وأحمد اللّه أننى لم أضف كلمة كذب واحدة وإنما جاءت الأصول من جذورها .. وقبّح اللّه الكذب وأهله .

وأحمد اللّه مرة أخرى أننى قمت بعملية اتسمت بالحيدة التامة دون أدنى تدخل تاركاً توراتهم وآدابهم للشهادة على السلام المزعوم .

واللّه أسأل أن يُلهم أُمتنا رشدها وصوابها عسى أن تفهم هذا السلام .

فإذا ما بلغ الأمر نهايته فلسوف تبقي القدس قُدس الأقداس من ديننا وتاريخنا وأُمتنا .. وإذا ما جُيِّشت الجيوش فليس ذلك عدواناً على أحد إنما هو حقنا وديننا وتاريخنا .. حق هو حقنا وهو ضمير الأمة ودينها .. دينها الذى لا يعتدى على أحد .. وقصة أُمة أراد لها أو خطَّط لها الأفاعى فى جنح الليل حيث لم يدرك الناس أنَّ شيئاً ما يتم فى الظلام البهيم .

وهذا الكتاب تتبعه موسوعة أخرى بمشيئة اللّه تبتدئ من محمد عليه الصلاة والسلام وصحابته وتلاميذه وتابعيهم وتابعى التابعين بإحسان إلى يوم الناس هذا .. وهو أيضاً ضد التيارات المناهضة للإسلام .

ومن المعجب أن يكون هذا الكتاب استهلالاً لكتاب آخر .. وليس فى ذلك شكاً فى أن يكون ذلك كذلك .. فهى سلسلة يكمل بعضها البعض وموضوعها الرد على التيارات المناهضة للإسلام .

وإذا ما تفضّل أحد فامتدح كتبى ووضعها فى موضعها الصحيح من دين الأُمة وتاريخها ، فإننى لا أريد المدح خاصة إذا كان ذلك يخص أمتى ديناً وتاريخاً وثقافة وحضارة .. وقد أتجاوز فأقول كما رُوى : فإنما مثلى مثل حارثة بن بدر الغدّانى الذى اجتاز بمجلس من مجالس قومه بنى تميم ومعه مولاه كعب ، فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا : مرحباً بسيدنا - فلما ولىّ قال له مولاه كعب : ما سمعتُ كلاما قطْ أقر لعينى وألذ لسمعى من هذا الذى سمعته اليوم .. فقال له حارثة : لكنى لم أسمع كلاماً قَطْ أكره لنفسى وأبغض إلىَّ مما سمعته .. قال كعب : ولم ؟ .. قال حارثة : ويحك يا كعب .. إنما سوَّدنى قومى حين ذهب خيارهم وأماثلهم .

فاحفظ عنى هذا البيت :

خَلَتِ الديارُ فسدتُ غير مسوَّدِ ومــن الشقاء تفــردى بالسُّؤددِ

ولا يعتقدنَّ أحد أن صاحب هذا الكتاب من مبغضى السلام أو من دعاة هدمه مع أبناء بنى عمومتنا ، ولكننا نطلب هذا السلام عقيدة وشريعة ومنهاجا . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ .

* * *

محمود ثابت الشاذلى

فى الشِعر الإسرائيلى المعاصر

* فى مدينة القتل :

هذه القصيدة عبارة عن سلسلة من الزيارات للمقابر التى دُفِنَ فيها ضحايا الاضطهاد وللمعبد اليهودى ، وتصل غضبة الشاعر إلى حد الاعتراض على رب إسرائيل حتى تصل إلى درجة الكفر . ويصف اليهود بالجبن والتخاذل ، ولأنه لا نجاه لهم على أرض فلسطين والانتقام من الشعوب - أو حتى الرب ذاته - الذى يريد ويرغب فى رؤيتهم ساخطين ضده .

تقول القصيدة :

- « لِمَ يتوسلون إلىَّ الآن ؟
- فليرفعوا قبضتهم ضدى وليطلبوا رد إهانتهم
- رد إهانة كل الأجيال من البداية إلى النهاية
- وليفجروا السماء وكرسى ملكوتى بقبضتهم » .

ويختتم قصيدته بصرخة التحريض على الانتقام ، وعدم الاعتماد على الآخرين :

- « والآن لِمَ أنت هنا يا ابن الإنسان ؟
- قم فاهرب إلى الصحراء

● واحمل معك إلى هناك كأس الأحزان
● وفرّق هناك نفسك إلى عشرات القِطع
● وقدِّم قلبك فداءً للحنق بلا حول ولا قوة
● وأذرف دمعتك الكبيرة هناك على قمم الصخور
● وأطلق صرختك المريرة التى ستضيع فى العاصفة » [١] .

وتصل صرخة الحقد والرغبة المدوية فى الانتقام إلى ذروتها عند « بياليك » فى قصيدته « سِفر النيران » ، على لسان ذلك اليهودى الذى يحمل رسالة الحقد والكراهية ، والذى تتردد على لسانه أغنية الانتقام :

* عقدة شمشون :

تقول القصيدة :

● « يا سيفى أين سيفى ، سيفى المنتقم ؟
● أعطنى سيفى لأنتصر على أعدائى !
● أين أعدائى ؟ فسوف أصرعهم .
● وأحطمهم وأقطعهم إرباً ،
● وسوف أوقف من الناس الذكرى ،
● سوف أقطع كالحاصد وأجتز جذورهم .
● سوف أشهر يدى اليمنى القوية ، وأوبخ أعدائى

---

(١) قصيدة مترجمة عن كتاب « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية » للدكتور رشاد عبد الله الشامى .

- وأجعل سيفى يشرب فخوراً من دمهم
- وستستحم خطواتى فى دماء الصرعى
- وتدوس قدماى على شَعر رؤوسهم
- سأقطع من يمين وأحصد من شمال ،
- فلقد اشتعل غضبى ، وصار جحيماً ،
- لقد ضايقنى كثيرون ، ولكن لن يبقى أحد بعد المذبحة
- نعم .. إنى سوف أفنيهم حقاً
- يا سيفى ، أين سيفى ، سيفى المنذر ؟
- أعطنى سيفى ، فلن أغمده مرة أخرى
- حتى أذبح كل أعدائى ،
- لستُ أطيق الاحتمال ، لقد أشرقت روحى !
- وغضبى مشتعل ، وقلبى - تل يتحرك ،
- ورعى فى عروقى - تيار من شرار جارف » (١) .

* * *

* الرغبة فى الانتقام من الأغيار وتبنى العنف :

من السمات التى ميزت الفكر الصهيونى ، هى أنَّ هذا الفكر جرَّد اليهودى من إنسانيته بعزله عن سائر البَشر ، ثم جرَّد سائر

---

(١) ما سبق عرضه قصيدتان مترجمتان - كما كل هذا الفصل .. راجع كتاب « الشخصية اليهودية والإسرائيلية والروح العدوانية » ص ٦٢ ٦٥ للدكتور رشاد عبد الله الشامى .

البَشر من إنسانيتهم بجعلهم متفرجين موضوعيين على المأساة اليهودية . بل جعل اليهودى شريكاً - من الناحية الأخلاقية - فى العنف الذى يحيق به ، وحوّل الاستشهاد اليهودى إلى مجرد مذبحة وقعت لشعب لا يرفض العنف الذى هو ضحيته . وقد كانت شعارات مثل « الانتقام » و « الثأر » و « الإمساك بالسيف » بدلاً من الكتاب ، هى الشعارات التى ترددت كثيراً فى التعبيرات الشِعرية التى كتبها شعراء الصيهونية .

ففى قصيدة « شاؤول تشرنحوفسكى » : « فليكن هذا هو ثأرنا » يقول الشاعر : « إنَّ اضطهاد الأغيار لليهود سيملؤهم بالدنس ، وسيفقدهم طهارتهم ، إذ أنَّ دم اليهودى سيتخلل كيانهم حتى يسمم أساس وجودهم ذاته » . والقصيدة تجسيد لحقد مسموم لا يمكن لأى إنسان سوى اليهودى فهمه أو معرفة كنهه ، وهو تعبير عن إحساس بالألم يستلب من صاحبه إنسانيته ، ويعمق كرهه وحقده للأغيار :

- « سيأتى اليوم (الذى تفقد فيه أيها المضطهد طهارتك)
- وتغرس حد سكينك فى عنق أخيك » .

وتقول القصيدة :

- « ابن أمك ، كأنك تذبح خنزيرك المفضل .
- فى عيد القيامة ، فى الفناء أو فى ميدان القرية ،
- وسيكون رنين أنّات موته مثل الموسيقى

- أو المهرجان فى أذنيك المتلهفتين
- يا يوم الثأر ؟
- يوم ينتف ابنك شَعر ذقنك التى علاها الشَيب
- ويرفع فى وجهك قبضته الصلبة مهدداً ،
- ويناديك من حنجرته الحيوانية :
- لنشرب دماء هؤلاء الجزارين حتى تسكر أرواحنا ،
- ترضع من أنهار الدم ، رشفة ، قطرة قطرة
- نسكر من الحزن ونسكر من الآهات حتى تراهم عيناى يرتجفون
- لا يبل لى صدى ، وأشعر بالشماتة من نظراتهم وقد تجمعت أثناء الليل من العاصفة
- ومن شَعرهم الذى يقف من الرعب » (١) .

* * *

* قصاص الرب :

ومن أشهر قصائده فى هذا المجال قصيدة « حقاً إنَّ هذا قصاص الرب أيضاً » التى كتبها عام ١٩٠٥ . فى هذه القصيدة يقول : « بياليك » مخاطباً اليهود إنهم أعطوا أحسن ما لديهم للحضارات الأجنبية ، ورهنوا أرواحهم كالوديعة لدى الآخرين ، وشيّدوا أبنية روحية وعقلية لكل شعب على الأرض ، ثم أغرقوا فيها أرواح أطفالهم :

---

(١) القصيدة مترجمة عن كتاب « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية » ص ٦١ - ٦٢ للدكتور رشاد عبد الله الشامى .

تقول القصيدة :

- « حقاً إنَّ هذا قصاص الرب وسخطه العظيم
- الذى تنكره قلوبهم
- زرعتم دمعتكم المقدسة فى كل المياه
- ونظمتم من خيوط النور شِعراً خادعاً
- وأفضطتم روحكم على كل رخام أجنبى
- وفى أحضان الأصنام وأغرقتم أنفسكم
- وبينما قلبكم ينزف دماً بين أسنان النهمين إليكم
- تطعمونهم أيضاً روحكم
- وبنيتم لمن نفوكم بيثوم ورعمسيس
- وجلعتم من أبنائكم لبنات بناء
- وحينما تصرخ إليكم نفوسهم من بين الأشجار والأحجار
- على مداخل آذانكم تموت صرختهم ،
- ....
- وجلستم منكدرين ومكتئبين : فى الخارج مطر دائم
- وفى القلب تراب ورماد
- وعيونكم مأوى لذباب الموت الذى على نوافذكم
- ومأوى للعناكب التى فى الزوايا الخربة » .

وفى هذه القصيدة تنبأ بالانتقام اليهودى من كل شعوب العالَم وهو انتقام سيجعل الدم يفور إلى الأعماق :

ويكمل القصيدة بقوله المسموم :

- « ملعون هو مَن يقول : انتقم
- إنّ انتقاماً كهذا - هو ثأر كطفل صغير
- لم يخلقه الشيطان بعد
- يجعل الدم يفور إلى الأعماق
- ويشق طريقه إلى القيعان المظلمة .
- ويأكل فى الظلام وينبش هناك
- كل موجودات الأرض المتحللة » (١) .

* * *

* لم يكن مسموحاً فقط التخلص من تقاليد « تحوم هاموشاف » (مناطق الإقامة اليهودية فى شرق أوروبا) ونسف أسوار المؤسسة الربانية ، بل يمكن أيضاً فحص الأسس الرئيسية للوجود والعقيدة اليهودية ، وقد عبّر الأديب اليهودى الروسى « يوسف حاييم بريبر » عن ذلك بقوله :

« إنّ مسألة حياتنا اليهودية ليست هى مسألة الدين اليهودى .. إنّ مسألة حياتنا هى مكان عمل منتج من أجل اليهود » . كذلك

---

(١) المرجع السابق من ص ٥٨ ٦٠.

(٢ - شالوم عليخم)

فإنَّ أولئك الذين لم يقبلوا تلك الصياغة الحادة أدَّى إلى نشوء تيَّار بين صهيونى شرق أوروبا معاد لليهودية وصل إلى حد المبالغة فى أشواقه إلى عالَم الوثنية . وقد كانت هذه الثورة المعادية لليهودية سابقة للصهيونية وهى التى غذَّت أدب حركة التنوير اليهودية « الهسكالاه » . لقد أضبح متاحاً الكفر حتى بالمبادئ الرئيسية . وقد جسَّد الشاعر الصهيونى « شاؤول تشرنحوفسكى » عام ١٨٩٩ فى قصيدته « أمام تمثال أبوللو » مخاطباً رمز الوثنية التى حاربها اليهود عبر تاريخهم :

- « أيها الشرير ! .. وأنت تذرف الدمع
- أمام كل الناس
- يا يوم الثأر والعقاب
- حين تعرض ابنتك الحبيبة نفسها ، عاهرة ضعيفة
- ملكتها الرغبة العارمة ، وسكرت من الخمر ،
- وأخذت تهمهم لك بكل قصص الزنا ،
- تلك التى ارتكبتها
- هو هو ثأرنا
- فليعش ثأرنا
- نرثه جيلاً بعد جيل » ! (١)

---

(١) القصيدة مترجمة عن كتاب « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية » للدكتور رشاد عبد الله الشامى .٦٠ - ٦١

* باروخ المغنتس والسم الزعاف :

وهناك قصيدة أخرى من أشهر قصائده التى تقطر سماً زعافاً ، وحقداً ضد مَن ليسوا يهوداً ، وتدعو إلى الانتقام منهم وهى قصيدة « باروخ المغنتس » ، التى تصف مأساة يهودى أجبر على اعتناق المسيحية ، وحينما أجبرت ابنته وزوجته على اعتناق المسيحية قام بقتلهما ثم قام بحرق الدير الذى كان محبوساً فيه ، وأحرق المدينة بأسرها ، وفى جزء من أجزاء القصيدة تصل مشاعره الكريهة إلى حدّ ذروتها القَبلية ، والتى يتمثل فيها أنبياء بنى إسرائيل فى مناجاتهم للرب لكى ينتقم لهم من هؤلاء « الأغيار » :

تقول القصيدة :

- « فلترسل يا إلهى - إنى أضرع إليك أن ترسل سيفك لتثأر منهم ،
- ولتتركهم فى بؤس شديد دون ذُرِّية ،
- فلتصب حنقك على الأمم التى لا تعرفك
- ولتصب غضبك على المماليك التى لا تنادى باسمك
- لأنهم قد دمَّروا مساكن شعبك وأكلوا نصيب يعقوب » .

وبعد ذلك يتمثل ، دور مصَّاص الدماء ، الذى سيقتص من هؤلاء الأغيار :

- « فى كل ليلة ، نصعد من قبورنا حيث دفنا » .

تقول القصيدة :

- لقد أتيت إليك ، أتيتُ لأسجد أمام تمثالك وصورتك
- يا رمز تألق الحياة
- أسجد وأغنى أمام الخير والسمو ،
- ولكل ما هو مجيد فى هذا العالَم
- لكل ما هو رائع بين المخلوقات
- ولكل ما هو متسام فى ديانات الكون البدائية
- إننى أنحنى لكل الأشياء الثمينة - التى سرقتها الآن
- ألجثث الحية والذُرِّية العفنة
- الذين يثورون على الحياة التى منحها إياها اللّه القادر على كل شئ
- رب البرية المليئة بالأسرار
- رب الرجال الذين غزوا أرض كنعان كالعاصفة ،
- ثم قيّدوه بأغلال تعاويذهم
- لقد شاخ الشعب وشاخ إلهه معه
- مشاعر معذبة فى يد عاجزين
- بعثوا بعد انغلاق مئات الأجيال » (١)

* * *

(١) المرجع السابق ص ٥٤ - ٥٥

* ونغمة الصراع هذه تتضح بشكل أساسى فى جانب كبير من أشعار « حاييم نحمان بياليك » الذى يعرب عن حيرته وشكه لأنه فقد القُدرة على فهم لغة الأسرار الخاصة بهذه الكتب فى قصيدة تقول :

- « تقبل سلامى ، يا كتباً قديمة الصحف
- ولا ترفضى قبلاتى يا صريعة الغبار
- فإنَّ نفسى عادت من رحلة فى جزر غريبة
- كحمامة هائمة متعبة الجناح ، خائفة
- عادت ترف من جديد على أعتاب عش الصبا
- هل ما زلتِ تعرفيننى ؟ أنا فلان !
- كنتُ فىَ أحضانكم منذ ولدت ،
- راهباً منعزلاً عن ضجة الحياة
- وعن كل نِعَم الرب فوق الأرض » .

ذلك السم العنصرى الذى يفرضه الصهاينة على كل الشعوب ، بمثابة انتقام لإحساسهم بالذل والاضطهاد :

- « من مهاوى الهلاك ارفعوا إلىّ نشيد الخراب
- أسود كفحم قلوبهم المحروقة
- احملوه إلى الأُمم وانتشروا بين

- مَن غضب اللّه عليهم
- وصبوا جمراته فوق رؤوسهم
- وازرعوا به الخراب والدمار فى حقولهم
- وليفعل كل منكم ذلك فى جهات الأرض الأربع
- فإذا مرّت كلابكم فوق زنابق جناتهم
- اسودت الزنابق وماتت
- وإذا وقعت أعينكم على رخامهم وتماثيل متاحفهم
- تكسر الرخام وتحطمت المتاحف وتحطم الخوف
- ولتأخذوا معكم ضحكة مُرّة كالعلقم
- ضحكة قاسية
- تنشرون بها الموت » .

أما هذه الكلمات فيصعب تسميتها قصيدة فهى كَمٌّ من الألفاظ المتراكمة التى تُعبِّر عن غضبة همجية ترفض أن تدخل فى إطار مفهوم ، ولكنها بلا شك تميِّز تلك الروح الانتقامية القَبلية التى حلّت فى الشخصية الصهيونية (١) .

* * *

---

(١) مترجمة عن كتاب « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية » للدكتور رشاد عبد اللّه الشامى .

* أما عقدة « شمشون » فتسيطر على العقل الصهيونى ، فـ « شمشون » لم تعلمه هزيمته حب الإنسان ، ولم تطهره آلامه من الدنس ، بل كان همه أن يحل الخراب على أعدائه ، حتى ولو أدّى هذا إلى فنائه شخصياً ، وقد استمد العون من ربه فى عبارته الشهيرة : « عليّ وعلى أعدائى يارب » !

وفى قصيدته « بقوة روحى » يصوِّر الشخصية الصهيونية المنتقمة التى أمسكت بالسيف لتنتصر على الأعداء وتصرعهم وتقطعهم إرباً وتجعله يشرب فخوراً من دمائهم :

- « وما عرفتُ فى صباى غيركم
- كنتم لى كالحديقة ، فى حر يوم قائظ ،
- وكنتم لرأسى كالوسادة فى ليالى الشتاء ،
- حتى تعلمتُ أن أحفظ فى أوراقكم تذكار روحى ،
- وأن أخفى فى سطوركم أحلامى المقدسة
- فى علبة ، داخل بيت همدراش خاو على عروشه
- كنت آخر الأخيرين
- على شفتى تشنجت وماتت صلاة آبائى
- وفى ركن خفى هناك ، بجوار دولابكم
- أنطفأت تماماً أمام عينى الشمعة الأزلية
- فى ذلك الوقت ، وبينما ما زلت غض الإهاب
- ولم تنبت بعد فى ذقنى ريشة غضة » .

....

إلى أن قال :

- « يا عجائز الكتب إننى أنظر فيك ولا أعرفك
- ومن بين حروفك لم تعد تنظر إلى أعماق نفسى
- الأعين اليقظة ، تلك الأعين الحزينة لشيوخ غابرين
- ولم أعد أسمع هناك همس شفاها
- ينسل من قبور نُسِيَت ولم تعد تُزار »

ويرى الناقد « أهارون مازى » أنَّ قصيدة « أمام دولاب الكتب » هى تعبير حى عن عدم انتماء « بياليك » لمصادر الدين اليهودى وخاصة المقاطع :

- « يا عجائز الكتب إنى أنظر فيك ولا أعرفك
- كخرزات لؤلؤ سوداء انفرط عقدها
- سطوركم لى ، وصفحاتكم ترملت ،
- وكل حرف يشعر باليتم فى نفسه
- هل ضعفت عيناى أم ثقلت أذناى ؟
- أم أنكم عفن ، وموتى أبديون
- ولم يعد لكم أثر فى أرض الأحياء
- فليسمع كل منكم فى قلبه صدى دقات قلبه » (١) .

---

(١) المرجع السابق من ص . ٥ - ٥٢

وفى ختام القصيدة يعلن « بياليك » عن اندثار جيل ، هو جيل العبودية اليهودى الجيتوى ، وعن قيام جيل آخر متخلص من هذه العبودية يردد نشيد الشجاعة ، ويحمل فى يديه السيوف والرماح ، رمز القوة والعنف ، أدوات الصهيونية فى تحقيق أطماعها :

- « نحن الأبطال
- جيل العبودية الأخير وأول جيل للخلاص
- بيدنا وحدها ، بيدنا القوية
- أزلنا نير العبودية عن جلال كاهلنا
- من هو إلهنا ؟
- مع أنّ إله الإنتقام قد أغلق علينا صحراءه
- فقد ترامى إلينا نشيد الشجاعة والتمرد
- وقمنا إلى السيوف والرماح ، ووحدنا الصفوف
- وتقدمنا بالرغم عن السماء وقيظها
- وها نحن قد تغلبنا على العاصفة » .

وهكذا أصبح الصهاينة هم الصفوة المختارين المحاربين ، وقام الاستيطان اليهودى فى فلسطين على أنه « استيطان عبرى » يرفض « الجيتو » اليهودى وقيمه (١) .

* * *

---

(١) المرجع السابق من ص ٦٨ - ٦٩

* إنَّ « الصبّار » الأسطورى هو نقيض اليهودى المنحط ، ولكنه ، كما فى الحياة ، هو أيضاً ابنه حبيبه . لقد ربّاه ورعاه الأب المنحط . والأب المنحط الذى يعلق آماله على ابن أحلامه ، هو حالة مفهومة ومعترف بها . « وقد جسّد الشاعر الإسرائيلى المعروف « أورى تسفى جرينبرج » ، فى قصيدة كتبها عام ١٩٢٨ مضمون حلم الآباء ... تقول القصيدة الصبّارية :

- « شمس .. شاطئ بحر.. أمهات عبريات
- أحضروا أبناءهم إلى الشمس ، إلى البحر ،
- لكى تلوحهم الشمس ، ولكى يصطبغ دمهم الذى شحب
- فى كل الجيتوات فى عالم الجوييم باللون الأحمر » (١) .

* * *

* هذه القصة الواردة فى التوراة عن جيل الصحراء ، جيل المشتكين والمتذمرين ، الذين اختبروا الرب عشرات المرات ، وما إن سمعوا من الجواسيس عن سكان أرض كنعان ، أنهم أقوياء وضخام الأجسام ، وأنَّ مدنهم قوية ، حتى رفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل . لذلك فقد حكم الرب عليهم بأن تسقط جثثهم فى القفر ... « فى هذا القفر يغنون وفيه يموتون » . وقد تناول « بياليك » هذه الأسطورة فصوَّر « يشوع بن نون » القائد العسكرى لموسى عليه السلام ، وقد وقف على قمة تل يهدر بصوته فى مواجهة

---

(١) المرجع السابق ص . ١١

جيشه الذى يستعد به لغزو أرض كنعان بعد أن تخلص من جيل العبودية ، الذى ظل يحلم بما كان ينعم به فى أرض مصر من خيرات ، وهى الأحلام التى يدينها « بياليك » ويرى فيها نوعاً من « العبودية » !

- « قوموا أيها التائهون فى الصحراء ، اخرجوا من البرية
- فما زال الطريق طويلاً ، وما زالت الحرب طويلة
- عليكم أن تتحركوا كثيراً ، وأن تتيهوا فى الصحراء
- فما زال الطريق أمامكم ممتداً وعريضاً
- سنتيه أربعين عاماً فقط ، بين الجبال -
- وفى الرمال دفنا ستمائة ألف من الجيف النتان .
- فلنتجاوز جيف المتخلفين
- الذين ماتوا عبيداً - ولنتخط الشهداء !
- فليتعفنوا بخزيهم متمددين على ربطاتهم
- التى حملوها على أكتافهم فى مصر
- وليحلموا له حلمهم ،
- الحلم الملئ بالبصل والثوم ،
- والقوارير الكثيرة والهائلة المليئة باللحم .
- قوموا إذن أيها التائهون ! اتركوا البرية .
- وبقدر ما يعلو صوتكم ، سيروا بقوة صامتين !
- وحتى لا تغضب خطواتكم الصحراء والنائمين فيها » [(١)] .

* * *

---

(١) المرجع السابق .

هملحما هاباءا

« هملحما هاباءا » كلمتان عبريتان تعنيان « الحرب المقبلة » مع ملاحظة أن « هـ » و « ها » هما أداة التعريف بالعبرية .

كان كل الإسرائيليون يحاربون على أنَّ هذه الحرب ستجلب لهم السلام . وقد خرج آلاف من الشباب الإسرائيلى للحرب خمس مرات خلال خمس وثلاثين عاماً .

وكانت كل حرب تتطلب مجهودات فائقة . وكانوا فى كل مرة يحاربون على أنَّ هذه الحرب ستجلب لهم السلام . ولكن واحدة من هذه الحروب لم تأت بالسلام المنشود أو على الأقل تقربه قليلاً .

ومرت سنة بعد أخرى . حرب وحرب بعد حرب ، وظل الوضع على ما كان عليه . ولم تتغير الأوضاع وعاش آلاف من الناس حياتهم تطاردهم الأفكار والمناظر المروعة المتكررة تضئ فى أعماقهم صور الأرواح والأصوات النتنة ومناظر الجثث المشوّهة على الرمال منذ طفولتهم إلى رجولتهم .

ولهذا والوضع كذلك أصبح القول الشائع أنهم « جنود فى إجازة » أو أنَّ « إسرائيل عبارة عن جيش له دولة » أو « سلاح طيران له دولة » ... إلى آخر هذه المقولات .

وقد عبّر الشاعر الإسرائيلى « يعقوب باسار » فى قصيدة تدق الطبول لهذا المعنى ، أو تعبّر عن نفسية الوجدان اليهودى . والقصيدة عنوانها « هملحاما هاباءا » ... أى « الحرب المقبلة » كتبها عام ١٩٦٨ . وافتتحها بقوله : « الحرب » .

- « الحرب المقبلة نشنها نربيها
- بين حجرات النوم وحجرات الأولاد
- أنت وأنا والحرب القادمة ، الحرب التى ستنشب عندما يريد اللّه
- أنت وأنا والحرب القادمة ، التى ستجلب لنا السلام أجمعين » (١) .

* * *

ويظهر هذا الاستسلام للحرب التى تشد قبضتها وممتلئة الوجدان الإسرائيلى فى كلمات « موشى ديان » أثناء جنازة صديقه « روى روتنبرج » .

يقول القائد العسكرى الإسرائيلى :

« علينا ألا ندير رؤوسنا حتى لا نرتعش أبداً ، إنه قدر حياتنا ، إنه خيار جيلنا ، أن نكون مستعدين ومسلحين ، أن نكون قساة وأقوياء حتى لا يقع السيف من قبضتنا وتنتهى الحياة » .

---

(١) راجع كتاب « عربى فى إسرائيل » - فوزى الأسمر - ترجمة د . نظمى لوقا وصوفى عبد اللّه ص ٢٣٩

وإذا كانت أغنية « شالوش » تمثل مغالطة بأنهم وصلوا إلى الأمن عام ١٩٦٨ ، فإنَّ « شالوش » هذا ينفخ فى بوق الحرب حتى بعد أن تضع الحرب أوزارها ، أى حرب ثم حرب ... ثم حرب .

وليس هناك بادرة سلام أو أمل فى حرب تنهى كل الحروب . ولعل القارئ يرى أنَّ الحرب كامنة فى الشخصية الإسرائيلية بعدوان وقسوة هو تاريخ كل بنى إسرائيل .

وإذا كانت الحرب تُرَبَّى مع الأطفال ، بل قبل الأطفال ، تنتظر فى حجرة الولادة ، ثم تكون القاسم المشترك مع المتنزهين وفى أحضان النائمين وعند كل ابتسامة ، وعند طَرْق الأبواب ، لا يكفيها أن تنتظر حرباً أخرى بعد أن تضع الحرب السابقة أوزارها ..... فأين إذن السلام ؟ إذا كانت الحرب مع الأجنة ، وتحارب وتنتظر حرباً أخرى !!

ألامَن له أذنان للسمع فليسمع المبشِّر الإسرائيلى !!؟

وسنذكر فى الفصول التالية قضية القتل الإسرائيلى كعقيدة سياسية ودينية .

ونذكر بهذه المناسبة تلك الأغنية التى شاعت خلال حرب الاستنزاف (٦٩ / ١٩٧٠) تلك الأغنية التى شاعت وكانت تعكس إحساس الشباب الإسرائيلى بأنهم يعيشون فى حالة حرب أو فى انتظار حرب أخرى .

وقد كتبها الشاعر الإسرائيلى « حانوخ ليڤيش » تقول كلماتها :

• « أنا وأنتِ والحرب القادمة

• وحينما ننام نكون ثلاثة

• أنا وأنتِ والحرب القادمة » [1] .

أما « شالوش ليفيش » المؤلف المسرحى اليهودى فقد كتب سلسلة من الفصول القصيرة ومن ضمنها « أنا وأنت والحرب القادمة » .

يقول « شالوش ليفيش » فى مسرحيته التى تحمل عنوان « أنا وأنتِ والحرب القادمة » :

• « عندما نتمشى فنحن ثلاثة ، أنتِ وأنا والحرب القادمة

• وعندما ننام فنحن ثلاثة ، أنتِ وأنا والحرب القادمة

• أنا وأنتِ والحرب القادمة .. الحرب التى سنشنها عندما يريد الله

• أنتِ وأنا والحرب القادمة التى ستجلب لنا السلام جميعاً

• وعندما نبتسم ونحن نمارس الحب تبتسم الحرب القادمة معنا

• وعندما ننتظر فى عنبر الولادة تنتظر الحرب القادمة معنا

• أنا وأنتِ والحرب القادمة .. الحرب التى ستنشب عندما يـريد الله

---

(١) راجع كتاب « الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية » للدكتور عبد الله الشامى ص ٢٤٤ - ٢٤٦

● أنتِ وأنا والحرب القادمة التى ستجلب لنا السلام جميعاً .

● وعندما نسمع طرقات الباب نكون أيضاً ثلاثة أنت وأنا والحرب القادمة .

● وعندما تضع الحرب أوزارها نكون أيضاً ثلاثة ، أنا وأنتِ والحرب القادمة » [١] .

* * *

فى هذه الأبيات شعراً ومسرحية ألفاظ ملغمة يفرزها ودى الأكباد وغل الصدور ، تقول القصيدتان فى عرى صريح :

* الحرب القادمة تمشى مع كل اثنين .

* الحرب القادمة ترافق الاثنين فى الحب والابتسامة .

* وأمام عنبر الولادة عند انتظار مولود تكون الحرب القادمة مرافقة

* الحرب القادمة تولد وتتربى مع الأطفال .

* وعند طَرْق الباب يكونون ثلاثة هو وهى والحرب القادمة .

* وعندما تضع الحرب أوزارها - أى تنتهى - يكونون ثلاثة هو وهى والحرب القادمة ، التى لم تكد تضع أوزارها فى انتظار حرب أخرى .

أوَ ذلك يجلب السلام والحرب رفيقة فى كل شئ ؟؟

* * *

---

(١) راجع كتاب « عربى فى إسرائيل » - فوزى الأسمر .

شجرة التين

تقرأ فى إنجيل متى (٢١ : ١٨ - ١٩) :

« وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط . فقال لها : لا يكن منك ثمر إلى الأبد ، فيبست التينة فى الحال » .

وقد وقع فى يدى من قبيل المصادفة كتيب يسمى « هل نحن فى الأيام الأخيرة » ؟! ... والكتاب بلا مؤلف ولا اسم مطبعة وعليه إيداع (١٠٢٣/٧٨ دولى ٨-٨٥ - ٩٧٧/٧٢٢٢) .

والكتاب ضمن سلسلة « مفصلاً كلمة الحق » .. وهذا عنوان السلسلة . ويقول صاحب الكتاب : « هل نحن فى الأيام الأخيرة » ؟! وعلاقته بالفكر الإسرائيلى وما يسمى النبوءة :

« وشجرة التين ترمز إلى شعب إسرائيل » (كما فى أماكن أخرى فى الكتاب) ... يقصد « الكتاب المقدس » .

ويشرح قائلاً فى (ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) ، فى منشوره المنكر : « تقرأ فى (متى ٢١ : ١٩ ، ٢٠) : « أنه عندما كان الرب يسوع راجعاً من بيت عنيا إلى أورشليم جاع فنظر إلى شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط فلعنها قائلاً :

(٣ - شالوم عليخم)

« لا يكن منكِ ثمر بعد إلى الأبد ، فيبست التنية فى الحال » .

ويقول المبشِّر الذى يدعو لانتظار الغول الإسرائيلى المبارك من الرب : « وشجرة التين ترمز إلى شعب إسرائيل » .

وعلّق قائلاً : « كما فى أماكن أخرى من الكتاب » .

« فلما جاء الرب يسوع إلى ذلك الشعب لم يجد فيه ثمرة »

« بل صورة دينية فارغة .. رياء » ولهذا وبخّهم الرب كثيراً ، ولما لم يستجيبوا له ، ولإنذاراته المتكررة لذلك لعنهم . لعن ذلك الجيل الشريد الفاسق قائلاً : « لا يكون منه ثمر بعد إلى الأبد » هذا ما تشير إليه يبوسة « التينة فى الحال » (١) .

ثم استدرك المبشِّر المدِّمر وعفا عن قتلة الرب قائلاً : « ولكن التينة لم تنته لأن القساوة حصلت جزئياً لإسرائيل » ، ويبشِّرنا بالدمار: « وهكذا سيخلص جميع إسرائيل » (رومية ١١ : ٥ ، ٢٦)

« وذلك عند ما يرد الرب الفجور عنهم ، عندما ينزع خطاياهم بعد أن يتوِّبهم ويرجعهم إليه أثناء الضيقة العظيمة » (رومية ١١: ٢٦ و ٢٧) .

وهذا ما يشير إليه الرب فى (متى ٢٤ : ٣٢) بالقول : « فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أنَّ الصيف قريب » .

---

(١) جميع ما فى الأقواس من المبشر نفسه .. ص ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣

« وهكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب إلى الأبواب ، ونلاحظ أنه قبل الإتيان بثمر الذى سيكون بعد نوح التوبة ونوال الولادة الثانية ، سيصير غصن التينة رخصاً وتخرج أوراقها - أى تنبت - وأن تكون كأمة فى حالة عدم إيمان » .

ويعلّق على ذلك بقوله المسموم :

« يُشار إلى ذلك بتجمع العظام اليابسة وليس فيها روح » (حزقيال ٣٧ : ٨) قبل أن يهب عليها الروح فتحيا » (حزقيال ٣٧ : ١٠) .

ثم ينهى حديثه : « وهذا ما نراه بعيوننا ويراه كل العالَم بكيفية لم تحدث من قبل » [١] .

* * *

* أيها الناس ... بنى قومى .. علّكم عرفتم أنَّ هذا المبشِّر الذى أفرزته الصليبية العالمية بمباركة اليهود يريد أن يقول لنا إنَّ الولادة الثانية لإسرائيل - أى كونها أُمة - قد تمت ، وأنَّ إسرائيل الحالية لا تدخل فى يبوسة التينة لأن الذى دخل هو الجيل السابق ، بل يبلغ به الفُجر فيحدِّث النيام فيقول لهم : « وهذا ما نراه بعيوننا ويراه كل العالَم بكيفية لم تحدث من قبل » .

وواضح أنَّ شجرة التين ترمز إلى إسرائيل (كما يدَّعى المبشر أنه فى أماكن أخرى من الكتاب) .

---

(١) ما بين الأقواس ، كلام المبشِّر بنفسه .

ويدّعى أنه « فلما جاء الرب يسوع إلى ذلك الشعب لم يجد فيه ثمراً بل صورة دينية فارغة » رياء وهذا ما وبخهم الرب عليه كثيراً ، ولما لم يستجيبوا لإنذاراته المتكررة ورفضوه لعنهم ... لعن ذلك الجيل الشرير الفاسق قائلاً إنه لا يكون « منه ثمر بعد إلى الأبد ، وهذا ما تشير إليه يبوسة التينة فى الحال » ، ولكن التينة لم تنته لأنّ « القساوة » حصلت جزئياً لإسرائيل .... وهكذا سيخلص جميع إسرائيل (رومية ١١ : ٥ ، ٢٦) « وذلك عندما يرد الرب الفجور عنهم » وعندما « ينزع خطاياهم » بعد أن يتوبّهم ويرجعهم إليه أثناء الضيقة العظيمة (رومية ١١ : ٢٦ ، ٢٧) وهذا ما يشير إليه الرب فى (متى ٢٤ : ٣٢) بالقول : « فمن شجرة التين تعلموا المثل . متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أنّ الصيف قريب . هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب » ونلاحظ أنه قبل الإتيان بثمر ، الذى سيكون بعد نوح التوبة ونوال الولادة الثانية، سيصير غصن التينة رخصاً وتخرج أوراقها - أى تبتدئ أن تتكون كأمة فى حالة عدم إيمان . وهذا ما نراه بعيوننا ويراه كل العالَم بكيفية لم تحدث من قبل » .

وأوضح بأن تكون كأمة فى حالة عدم إيمان وتخرج أوراقها بما يشار إلى ذلك بتجمع العظام اليابسة « وليس فيها روح » (حز ٣٧ : ٨) قبل أن يهب عليها الروح فتحيا (حزقيال ٣٧ : ١٠) .

إذن أيها السادة :

* إنَّ إسرائيل قد تكوَّنت فى حالة أُمة ويُنتظر أن تهب عليها الرياح فتحيا .

* إنَّ إسرائيل فى سبيل أو الطريق إلى نوال الولادة الثانية .

* إن القساوة حصلت جزئياً لإسرائيل ولم تحدث للجيل السابق - جيل معاداة الرب وقتل الرب أيضاً .

* ويعتبر ما نراه بعيوننا - أى ظهور إسرائيل مرة أخرى أو الولادة الثانية - بشارة كتابية ، وتبلغ به صفاقة الوجه بأن يدَّعى أنه سيخرج من صهيون المخلِّص ، ويرد الرب عن شعبه - أى إسرائيل - الفجور !!

ويلى ذلك مذبحة يزعم فيها الكتابيون أنَّ اليهود سينتصرون على دول الشرق الأوسط ، وأقصد بالكتابيين : المؤمنين بالعهدين معاً .

فهل السلام ، ونحن دعاة سلام وتحيتنا فى الأرض والسماء السلام ، ننتظر حتى يصير غصن التين رخصاً ويهب الروح على العظام فتحيا ؟ (١) .

ولعلكم علمتم وأيقنتم أنَّ البشارة بإسرائيل تشمل العهدين معاً : القديم والجديد .

ألا مَن له أذنان للسمع فليسمع !!

* * *

---

(١) راجع « هل نحن فى الأيام الأخيرة .. ولماذا ؟ » من سلسلة « مفصلاً كلمة الحق » - والكتاب بلا ذكر لمؤلف أو مطبعة !!

هرمجدون

« هرمجدون » يقال إنها مكان قرب بحيرة طبرية ، سيخرج منها المخلّص ، أى ملك إسرائيل ، أو ملك الدنيا .

ثم يستدرج العرب والفُرس والترك ، والأفارقة ، أى كل المسلمين ، وهناك ... لا قدَّر اللّه - ستجرى المذبحة العامة لأهلنا . وبعدها سيتربع ملك إسرائيل على الدنيا ، أى يجلس على خراب الشرقين الأوسط والأدنى .

وبديهى أن تنجو أوروبا من سيف ملك صهيون ، لأنهم مؤمنون بالعهدين القديم والجديد .

يقول يوحنا فى مرائيه :

« ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبى الكذّاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالَم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم اللّه القادر على كل شئ . ها أنا آتى كلص » ، « طوبى لمن يطهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عرياناً فيروا عريته . فجمعهم إلى الموضع الذى يُدعى بالعبرانية « هرمجدون » [١] .

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٦ : ١٣ - ١٦

(ويعرف منير البعلبكى « هرمجدون » فى قاموسه « المورد » بأنها الموضع الذى ستجرى فيه المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر) نص ، ويعرف « نص » بأنها « نصرانيات » أى تدخل فى عقائد ومفاهيم ونبوءات النصرانية) (١) .

أما هرمجدون (Armageddon) فهى « هرمجدون » حسب النص الإنجليزى وبدلاً من الهاء العبرية استخدمت الألف (A) الإنجليزية لضرورة فقه اللغة .

* « أنَّ الصيف قريب – صيف قيادة الرب فى « هرمجدون » .

* أنَّ خلاص جميع إسرائيل مؤكد .

* أنَّ الرب سيرد عن شعبه المختار – إسرائيل – الفجور .

* أنَّ الرب سينزع خطايا إسرائيل بعد أن يتوِّبهم ويرجعهم إليه أثناء الضيقة الكبرى – الضيقة العظيمة » .

* * *

(١) تقع مادة (Armagdon) فى صفحة ٦٢ من المورد ، أما « نص » فتقع فى صفحة ١٤ من المختصرات المعتمدة .

هتكفاه

« هتكفاه » تعنى بالعبرية « الأمل » والهاء للتعريف .

إنَّ موضوع هذا النشيد سافر وعادى جداً . له جذور عميقة المسرب فى الجذور الإسرائيلية ، وترجع نصوصها إلى النصوص الأولية الأولى للمحاولة أو المشروع الصهيونى الرسمى عام ١٨٨٦ بقرار من المؤتمر الصهيونى الثامن عشر عام ١٩٣٣

يقول النشيد :

- « فى صميم قلوبنا ..
- يتوق روحنا اليهودى ..
- وصوب الشرق ترنو عيوننا إلى صهيون ..
- إننا لم نفقد الأمل بعد ..
- أمل ألفين من السنين ..
- أن يكون شعبنا حراً على أرضنا ..
- أرض صهيون وأورشليم » .

* * *

* ومن قبل كان نشيد الحركة الصهيونية الرسمى هكذا :

- « فى أعماق قلوبنا ..
- يتوق روحنا اليهودى ..
- وصوب الشرق ترنو عيوننا إلى صهيون ..
- إننا لم نفقد الأمل بعد ..
- الأمل القديم ..
- أن نعود إلى أرض آبائنا ..
- وفى المدينة التى عسكر فيها داود » .

ونلاحظ أنَّ اتخاذ القصيدة نشيداً رسمياً للحركة الصهيونية اقترن بتعديل الأبيات الثلاثة الأخيرة وإعادة صياغتها حيث صورت عبارة « أن نعود إلى أرض آبائنا وإلى المدينة التى عسكر فيها داود » ، وصارت : « أن نكون شعباً حراً على أرضنا .. أرض صهيون وأورشليم » .

وكما قلنا فالنشيد والتعديلات التى أدخلت عليه هو نشيد الحركة الصهيونية الرسمى وليس نشيد « دولة إسرائيل » ، ذلك لأنَّ البرلمان الإسرائيلى لم يعلن بعد اتخاذه نشيداً قومياً لطموح ونوايا سيئة فى الوجدان الإسرائيلى كامنة فى العمق اليهودى . إنَّ هذا البرلمان لا يريد الاكتفاء بـ « أورشليم » و « صهيون » بل ولا حتى « يهودا » و « السامرة » .

إنما هدف الكنيست اليهودى ، هدفه كما هو مكتوب على جداره : « من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل » أى أننا من العراق حتى النيل داخلين فى أرض إسرائيل . وهذا أمر صعب على النفس ثقيل على الوجدان .

والقصيدة الأصلية قبل التعديلات التى أدخلت عليها من نظم شاعر اسمه « نفتالى هيرتزأمير » . وقد نشرت بادئ الأمر تحت عنوان « أملنا » . ثم صارت « الأمل » .

ويقول الكاتب الإسرائيلى « يوسف دافيز » :

والموضوع الحيوى فى هذا التعديل ليس ذكر طموح الشعب الإسرائيلى إلى أن يكون متحرراً من كل سيطرة . بل التأكيد على أنَّ الشعب اليهودى لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا على « أرضنا » « أرض صهيون » والتنبؤ على هذا التعديل له مرام بعيدة لأنه قائم على أكذوبة واضحة .

أما حكاية أرض الآباء - أو أرضنا - فشهادة التوراة ويساندها حقائق التاريخ وعلم الأنثروبولوچى فتقول : إنَّ « الخان بولان » - خان « الخزر » اعتنق الديانة اليهودية . وكان الخزر شعباً وثنياً . وأراد لهم خانهم - أو ملكهم - ديانة سماوية بالطريقة العجيبة الآتية - هذا غير الطمع الإسرائيلى :

يقول التاريخ :

إنَّ الخان « بولان » خان الخزر اعتنق اليهودية وفرضها على شعبه فى القرن السابع عشر الميلادى . وكان الخزر - كما قلنا - شعباً وثنياً . اختار الخان « بولان » ثلاثة ممثلين دينيين - أحدهم

يمثل الإسلام والثانى يمثل المسيحية والثالث يمثل اليهودية – وسألهم عن أفضل الديانات الثلاثة وإمكانية اختيار كل بديلا عن دينه فرفضوا جميعاً أن يبدلوا دياناتهم . ودخل معهم فى مجادلة جدلية كل على حدة : إنه لو أمكن أن يختار غير دينه – وهذا لن يكون – فماذا يختارون ؟

أجاب المسلم : إنه لو فرض عليه دين غير الإسلام فاليهودية كعامل تقريب من دينه أفضل إليه من غيرها . وسأل المسيحى نفس السؤال فأجاب : بأنه لو فُرِض عليه أن يختار غير المسيحية فسيختار اليهودية باعتبارها أم الديانة المسيحية وامتداد لها ، وبشارة العهد الجديد منثورة فى العهد القديم . وعلى هذا الأساس البسيط العجيب اعتنق الخان « بولان » اليهودية باعتبارها قاسماً مشتركاً ، ثم راح بلا رحمة يفرضها على شعبه الخزرى . والخزر من شمال بحر القوقاز . فإنهم لم يلدهم إسرائيل وليس جدهم الأب إبراهيم وولده إسحاق . هم شعب آرى ، والشعب الإسرائيلى – إن جازت التسمية – شعب سامى . و ٨٣٪ من سكان إسرائيل وقياداتها العسكرية والسياسية يرجعون نسباً إلى يهود الخزر ، أى أنهم قوقازيون آريون وليس فيهم نقطة دم واحدة من الجنس السامى !!

مرة أخرى .. فلم يلدهم لا يعقوب ولا إسحاق ولا إبراهيم ولا آباء وأجداد يهود إبراهيم . لكنها صفاقة الوجه . وهو كذلك الأمر الواقع إستيطاناً واستعماراً الذى يقول : « أرض الآباء وأرض الأجداد » . ولا يخجل العزيز « بيجن » من مقولة أنه قبّل أحجار

أجداده عندما دخل القدس التى كانت فيما يسمى بـ « مملكة داود » إنَّ أجداده هناك عند بحر الخزر ينتمون إلى جبال القوقاز ... إلى جنس آخر وهوية أخرى ودم آخر غير هؤلاء الـ ٨٣٪ الذين يزعمون أنهم أبناء إسرائيل !!

ومرة أخرى .. فإنَّ الخزر من القوقاز جنساً ولوناً ، ولا يمتون للسامية بأى رباط . لكن بهود الشتات « الدِّيسابُورا » التقطوا الخيط وقبلوا العرض لتكون لهم دولة .

وغزا الروس مملكة الخزر عام ٩٦٩ وسقطت « آتيل » العاصمة فى أيدى سلاف « كييف » . وفى حملة مشتركة من الروس والدولة البيزنطية ثم الاستيلاء على منطقة « أكرمان الخزرية » وتشتت يهود الخزر فى روسيا وشرق أوروبا وتزوج واستقر منهم الكثيرون فى روسيا أيضاً وشرق أوروبا وفى المجر والنمسا وباقى أوروبا الشرقية . وهؤلاء « الخزر » يُطلق عليهم - الذين استلحقوا منهم باليهودية - بـ « القبيلة الذهبية » أو « القبيلة الثالثة عشر » وقد يُطلق عليهم أيضاً « الأشكيناز » وليس فيهم أثر دم من الجنس السامى أو أبناء إسرائيل الإثنى عشر . ويساعد علم الجغرافيا فى القضية : فهم ينتمون جغرافياً إلى مملكة الخزر التى يشكل ٨٣٪ - كما قلنا - من سكان إسرائيل الغازين .

وعلى ذلك فـ « وطن الآباء » و « المدينة التى عسكر فيها داود » و « أورشليم » و « صهيون » ليست فى فلسطين ، إنما كانوا هناك بأكثريتهم فى شتات « دياسابورا » - بحر الخزر .

ومن ثم فالوطن الذى يتوق إليه الإسرائيليون بالسلاح والدسيسة فى مجملهم ليست فلسطين .... وطن آبائهم هناك عند « الخزر » ففلسطين ليست وطنهم ولا وطن آبائهم . إنها فكرة يهودية استغلتها الصهيونية العالمية وسمّت نفسها كذباً « صهيون » وتاقت ريا ءاً إلى « أورشليم » ..

أما « أورشليم » فاسمها الأصلى « يبوس » وسكنها الشعب اليابوسى . وإذا كان (H . G. WELLS) قد اعترف فى كتابه « موجز تاريخ العالَم » بأن اليهود لم يقطنوا إلا التلال الداخلية فى أرض كنعان ، فإنّ مقولته بأنّ اليهود لم يتمتعوا بفترة رخاء إلا فى عهد داود فإنّ فيها نظر . ذلك بأن داود نفسه كان يتوق إلى مياه بيت لحم . وبيت لحم منازل آبائه وأجداده ، وكان دائماً يقول : « مَن يسقنى من ماء بيت لحم » . أما « يابوس » نفسها التى سماها اليهود « أورشليم » فيقول عنها سفر « أخبار الأيام الأول »(١١ : من ٤ إلى ٦) : « وحارب بيت شاول بيت داود مدة طويلة وفيها مسح الإسرائيليون داود ملكاً عليهم . وذهب كل الإسرائيليين إلى يابوس - أى أورشليم - وهناك اليابوسيون سكان الأرض ، وقال سكان يابوس لداود : لا تدخل إلى هنا ، فأخذ داود حصن صهيون هى مدينة داود » - أى إنّ يابوس - «أورشليم» خلت من أصحابها الشعب اليابوسى بعد أن غزاها داود وكان ذلك أول دخول لبنى إسرائيل إليها منذ خروجهم من مصر .

فبالله عليكم : هل للأشكيناز أجداد أو آباء فى أورشليم - وهم يهود - أو بعد عدة قرون ؟!

ويقول ألفريد لينينتال (Lilenthal) :

أنه عندما زار القدس عام ١٩٤٤ دهش من البرهان المرئى والقاهر الذى يسخر من جنسية عِرقية يهودية ... ففى لمحة استطاع أن يميِّز بين أشكيناز بولندا ويهود شبه جزيرة إيبريا وشمال إفريقيا واليهود اليمنيين واليهود الألمان ... كلهم مختلفون - ليس فى الملامح الأنثروبولوچية فحسب - بل أيضاً فى الملبس والعادات والسلوك والمواقف العقلية ، مَن يستطيع القول بأنَّ اليهود الأحباش المسمّون بالفلاشا واليهود الهنود واليهود التيوتون والسلاڤ واللاّتين تربطهم رابطة ؟ أليست خرافة تلك التى تدَّعى أرض الآباء والأجداد أو أرض الموعد على الأمل الكاذب « هتكفاه » الذى يقودهم إلى المدينة التى « عسكر فيها داود » !؟؟

* * *

تمزيق الوصايا العشر

الوصايا العشر عند بنى إسرائيل هى شريعة اللّٰه أو مخ الشريعة أو الناموس ، وكتبها الرب بأصبعه على لوحى الشريعة - لوحين من الحجر - وقد جاءت فى مواضع كثيرة من كتابهم المقدس ، ويذكر تاريخهم فى أسفارهم أنه بعد أن حمى غضب موسى على قومه لأنهم بعد أن جاء من عند الإلٰه بلوحى الشريعة وجد قومه يغنون ويرقصون لعجل اختاروه إلٰهاً . ثم رضى الرب عنهم - كما تقول التوراة - وبعد الرضا المبارك صعد موسى إلى الجبل بعد أن هدأت نفسه وسجد للإلٰه طالباً المغفرة .... المهم - كى لا يطول بنا السرد - أعاد الرب ما صنع وجئ بحجرين أخريين وكتب الرب على اللوحين مثل ما كتب فى الأولى .... وهى الكلمات العشر أو الوصايا العشر التى يقول فيها الرب على لسان موسى : « الكلمات العشر التى كلمكم بها الرب فى الجبل وسط النار فى يوم الاجتماع وأعطانا الرب إياها » (سفر التثنية ١٠ : ٤)

وتقول الأسفار : « وأخذ الشهادة وجعلها فى التابوت ووضع العهد على التابوت وجعل الغطاء على التابوت » (سفر الخروج ٤٠ : ٢) ، « وأخبركم بعده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر » (سفر التثنية ٤ : ١٣) .

وحدد لهم الرب كيفية وضع الشريعة : « التابوت مغطاة ويعلوه اثنان من الكروبيم ويوضع فى قدس الأقداس ، سواء أكان خيمة الاجتماع أثناء تشردهم فى سيناء أو فى هيكل سليمان فى مدينة داود » .

ولأهمية ما جاء عنها ورد فى سفر التثنية : « فَكَلِم الرب من وسط النار لم يكن ثمة مسكن ... حاشا وأنتم سامعون صوت كلام لكنكم لم تروه ، صورة بل صوتاً (أى صوت الإله !!) وأخبركم بعده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر » (التثنية ٤ : ١٢ ، ١٣) .

« وكان الرب قد قال لموسى : اصعد إلى الجبل هناك فأعطيك الحجارة والشريعة التى كتبتها لتعليمهم » . (خروج ٢٤ : ٢٢) .

وتوارد ذكر الوصايا العشر فى الأسفار اليهودية : أسفار موسى الخمسة وأسفار الأنبياء والمزامير والتواريخ والملوك ، كذلك وردت فى الأناجيل المسيحية ، وتقديسها والمحافظة عليها هى لب التدين اليهودى .

ولعلنا نذكر أنَّ الرب - كما ورد فى الأسفار - قد حدد لهم كيفية وضع لوحى الشريعة وأهميتها فى جميع الأسفار اليهودية والمسيحية على السواء .

وفى المزامير .. تقول عن الشريعة : « أشهى من الذهب والإبريز الكثير وأحلى من العسل وقطر الشهادة أيضاً عبدك يحذر بها وفى حفظها ثواب عظيم » (المزمور التاسع عشر : ١٠ ، ١١) .

وفى إنجيل متى : « ولكن إن أردتَ أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » (متى ١٩ : ١٧) .

وفى رسالة بولس - المسمى قديساً - إلى رومية : « إنَّ الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة » (رومية ٧ : ١٢) .

« لأنَّ مَن حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل لأنَّ الذى قال:لا تزن ، قال أيضاً : لا تقتل . فإن لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعدياً الناموس » .

(يعقوب ٢ : ١٠ ، ١١)

المهم .... الكل تحدَّث عن ضرورة حفظ الوصايا العشر .

وقد نذكر أنه عندما مات « تشرشل » رئيس وزراء بريطانيا الأسبق وحضر « مناحيم بيجن » مراسم التشييع والدفن فى مقر رئاسة الوزارة البريطانية فى ١٠ داوننج ستريت إلى المدافن فى ولنجتون حيث تبعد حوالى ثمانى كيلو مترات ، وحضرها كثير من الرؤساء والقادة العالميين . وكان اليوم يوم سبت وأحضرت السيارات لركوب المشيعين فرفض رئيس الوزراء الإسرائيلى الركوب لأنه السبت . والسبت مقدس . وقد ورد فى الوصايا العشر : « ويحرم فيه الركوب » فاضطر بوليس اسكتلانديارد إلى تعديل المراسم بحيث يسير رئيس وزراء إسرائيل ماشياً محافظاً عليه ، والعَرق يتصبب منه إلى أن يصل إلى المدافن ماشياً ثم تبدأ حركة السيارات السير حيث يكون الرجل الطاعن فى السن قد وصلها على قدميه قبل غيره .

(٤ شالوم عليخم)

لم يضحك أو يسخر أى من مثقفينا « على قلة العصرية » أو « السَلَفية » أو « الرجعية » ... إلى آخر هذه المعذوفة التى لا نمل سماعها وقراءتها حد العهر .

والخلاصة أنَّ سليمان عندما بنى الهيكل على جبل المريا فى « يابوس » التى كانت فى حوزة اليبوسيين فأصبح التابوت بواصاياه العشر فى قُدس أقداس الهيكل بعد بنائه . « قدش قدشيم » كما بالعبرى .

ماذا تقول الوصايا العشر [1] ؟

١ - « أنا الرب إلٰهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى .

٢ - لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض . لاتسجد لهن ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلٰهك إلٰه غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضىّ . وأصنع إحساناً إلى ألوف من محبىَّ وحافظى وصاياى .

٣ - لا تنطق اسم الرب إلهك باطلاً لأنَّ الرب لا يبرئ مَن نطق باسمه باطلاً .

٤ - اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلٰهك لا تصنع عملاً

---

(١) الوصايا العشر بنصها فى سفر التثنية - الإصحاح الخامس من ٥ - ٢٢

أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمَتك وبهيمتك ونزيلك الذى داخل أبوابك لأنَّ فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدّسه .

٥ - أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلٰهك .

٦ - لا تقتل .

٧ - لا تزن .

٨ - لا تسرق .

٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ - لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أَمَته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك » .

ومع كل ذلك - كل ما جاء فى الوصايا العشر وحواشيها والاهتمام بها - فإن « شالوش ليفين » المؤلف المسرحى اليهودى الإسرائيلى يؤلف أغنية يسخر فيها من الوصايا العشر . والغريب أنَّ هذا الكاتب محسوباً على دعاة السلام .

يقول الكاتب الفاجر :

« وذات صباح جميل مشرق من أيام الربيع تجمعنا كلنا كرجل واحد مقاتلون نحن كرجال حرب مرحون وأذكياء وسيمون وشجعان تجمعنا لنصعد جبل سيناء حيث تلقينا مرة كلمة الرب وعدنا فخورين إلى هناك مغنين ومبتهجين برد كلمة الرب إليه » .

« وكبداية ولأسباب تتعلق بالأمن رمينا إلى السماء بالوصية الأولى ثم رمينا الثانية - رميناها أيضاً بسبب حالة الأمن - وبعدها رمينا الثالثة وهو عمل مفهوم فى دولة تحت الحصار - واستتبع ذلك بالطبع الرابعة والخامسة . فمَن حاول قتلك اقتله أولاً لنفس الأسباب فهى حرب بقاء . وألقينا بالوصية السادسة كإجراء للطوارئ ، ومفهوم أيضاً ومرغوب فيه وجوب إلقاء السابعة ، وبعد ذلك ألقينا الثامنة والتاسعة لنحافظ على روح القتال المعنوية وإكمالاً للعدد رمينا الوصية العاشرة » .

« وذات صباح مشرق عدنا جميعاً كرجل واحد رجال حرب نحن مرجون أذكياء ، وسيمون شجعان وكانت ظهورنا مستقيمة وأكتافنا غير منحنية وصدورنا بارزة نتنفس مرة أخرى ، فالآن يمكننا أن نعيش » !!! (١) .

علَّ القارئ يدرك بفطرته الروح العدوانية لإسرائيل ؟

* * *

(١) عربى فى إسرائيل - فوزى الأسمر - ترجمة نظمى لوقا وصوفى عبد الله ص ٢٤٢ .

زعماء إسرائيل فى المرآة
« تيودور هرزل »

« وإن نجح اليهود فى خلق دولتهم سيرحلون إليها فى هجرة تدريجية وعليهم أن يدركوا أنهم سوف يغادرون إلى دولة بها وحوش مفترسة لا ينفع لمواجهتها حمل الرمح والحربة أو الذهاب فرادى إلى هناك لمطاردة الدب الذى فى الانتظار . بل على اليهود أن يذهبوا إلى هناك فى جماعات كبيرة قادرة على سوق هذه الحيوانات أمامها وأن يقذفوا بقنابل شديدة الانفجار وسط جموعها بين وقت وآخر لإرهابها » .

« تيودور هرزل »

كان « هرزل » طرازاً فريداً من بين هؤلاء . إذ ما دار فى خلد أى منهم مثلما دار فى خلده . وما فكّر أحد منهم بمثل ما فكّر فيه .

فبدلاً من أطماعهم فى استغلال الأرض فكَّر هو فى تملك الأرض ومَن عليها . واعتبر شتات اليهود المنتشرين فى كل بقاع الدنيا منذ آلاف السنين شعباً .... بل هم - فى نظره - شعب اللّه المختار ، تمييزاً لهم عن شعوب الدنيا كلها .

والشعب لا بد له من دولة وأرض !!! ليس مهماً أن تكون هذه الأرض مملوكة لشعب آخر يعيش عليها منذ آلاف السنين ، فهذا

فى نظره أمر غير ذى بال .... إذ على شعب الله المختار أن يغتصبها ويتملكها . ثم لا يكون بعد ذلك إلا أن « يخرج » أو « يهاجر » إلى أرض الميعاد .

حلم بكل هذا بينه وبين نفسه ... ثم كتب هذه الأحلام ودوّنها على ورق ... ثم أخذ بعد ذلك يبشِّر بها ... وقبل أن يموت كان قد وضع أساس تنفيذ كل شئ . ثم ترك ذلك كله لأتباعه ليفرضوه .

ألا يكون « هرزل » بعد كل ذلك أخطر استعمارى شاهدته أرضنا المقدسة ؟! وهو - فوق كل ذلك - مؤسس الحركة الصهيونية ، وصانع الكثير من أجهزتها التى كانت عُمداً لها والتى لا يزال بعضها يعمل حتى الآن .

وهو أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالَمية .

وصانع مؤتمر « بازل » عام ١٨٩٧ الذى وضع فيه أساس الدولة اليهودية .

ورئيس الخمسة مؤتمرات الصهيونية التالية لمؤتمر « بازل » والتى عُقِدت لتنفيذ فكرة الدولة اليهودية وإخراجها إلى حيِّز الوجود .

وهو بعد كل ذلك الأب الروحى لدولة إسرائيل .... فهكذا يسميه الصهيونيون فى كل أنحاء العالَم .

وُلِدَ عن أبوين يهوديين فى مدينة بودابست عام ١٨٦٠ ، وتلقى تعليمه فى ڤيينا بين عامى (١٨٧٨ - ١٨٨٤) . وبعد إكمال دراسته اشتغل كاتباً يكتب فى الأدب والسياسة على حد سواء .

وفى عام ١٨٩١ عُيِّنَ مراسلاً فى باريس لـ « الجريدة الحرة الجديدة » التى كانت تصدر فى ڤيينا .

أما الموضوع الثانى : فكان ما رآه من إقبال اليهود على الاندماج فى الشعب الفرنسى ... كان « هرزل » نفسه من أنصار الاندماج حتى ذلك الوقت إلا أنَّ التفكير الصهيونى كان قد بدأ يسيطر عليه . فأخذ يتراجع عن آرائه السابقة وبدأ فى مهاجمة الاندماج والزواج المختلط .

لكن الموضوع الأول الذى آثاره هو ما عُرِفَ بقضية « دريفوس » . كان « دريفوس » ضابطاً فرنسياً يهودياً أدانه القضاء الفرنسى بتهمة التجسس ضد بلاده فحكم عليه بالإعدام وتجريده من رتبته العسكرية .

وحينما عاد « هرزل » ثانية إلى ڤيينا عام ١٨٩٥ ليعمل من جديد محرراً فى « الجريدة الحرة الجديدة » كانت اتجاهاته الصهيونية قد تبلورت وأخذت تملأ عليه تفكيره . فأصدر كتابه « الدولة اليهودية » عام ١٨٩٦ .

وأسَّس الصندوق الاستعمارى اليهودى وعدداً من المؤسسات الأخرى التى سهَّلت على الصهيونية عملية استعمار فلسطين فى الخمسين سنة التى تلت تأسيس الحركة الصهيونية .

ومات « هرزل » فى ٣ يوليو (تموز) عام ١٩٠٤

ودُفِنَ فى ڤيينا حتى عام ١٩٤٩

ونُقِلت رفاته بعد ذلك لتدفن فى قبره بجبل « هرزل » بالقرب من القدس .

* * *

● ملحوظة :

وقد قلنا فى كتابنا « الماسونية عقدة المولد وعار النهاية » فى طبعتيه الأولى والثانية بأنَّ هرزل جاء ثلاث مرات فى يونية ١٩٠١ والثانية فى فبراير ١٩٠٢ والثالثة فى يوليو ١٩٠٣ وعرض على سلطان وخليفة المسلمين أن :

١ - يسدد ديون تركيا الكثيرة .

٢ - يطوِّر تركيا صناعياً وتجارياً ومالياً من خلال بنوك أوروبا .

٣ - ينشئ للدولة العثمانية السكك الحديدة والسفن التى تعبر القارات .

٤ - يقود حملة صحفية عالَمية تدافع عن السلطان وسياسته فى مواجهة الدول الأوروبية .

٥ - ينشئ أحدث جامعة عصرية تُعلِّم الشباب التركى العلوم الحديثة بدلاً من ذهابهم إلى أوروبا التى تسمم أفكارهم .

٦ - يقف إلى جانب الأتراك فى المسألة الأرمينية ويأخذ حلف المسلمين ضد المسيحيين .

٧ - يهب السلطان هدية مالية قدرهامائة مليون جنيهاً ذهبياً .

لكن خليفة المسلمين الحارس اليقظ « عبد الحميد » أجاب فى حسم : لا أملك هذا .. فلسطين ليست ملكاً للأتراك بل ملك العرب ... وبيت المقدس ليس ملكاً للعرب بل ملك للمسلمين .... إلخ .

* * *

حاييم وايزمان

« لو أنّ موسى نفسه جاء يدعو لغير فلسطين
وطناً قومياً لليهود ما تبعه أحد . إنّ أي ابتعاد
عن فلسطين يشكل نوعاً من أنواع الكفر » .

« حاييم وايزمان »

والده هو « عازار وايزمان » من وجهاء يهود « موتول » المتدينين ، وكان يعمل تاجراً للأخشاب يقوم بتقطيعها من الغابات ثم ينقلها بعد ذلك إلى الموانى الروسية لتصديرها .

وبدأ « حاييم » حياته الدراسية فى معبد البلدة حيث درس مبادئ الدين والتاريخ اليهوديين واللغة الروسية ولغة « اليديش » التى كان يتحدث بها يهود روسيا . وبدأ يسمع منذ صغره عن فلسطين ، بدأ يسمع أنّ الأتراك يقفلون الأبواب فى وجه اليهود ويمنعونهم من الدخول إلى هناك .

وحينما تجاوز « حاييم » مرحلة الطفولة أرسله أبوه إلى « بنسك » ليتلقى تعليمه العالى هناك متخصصاً فى الكيمياء . ولم يقتصر نشاطه فى « بنسك » على تعلم الكيمياء بل امتد إلى النشاط الصهيونى ليتلقى تجاربه الأولى فى هذا المجال .

كانت حركة « شيبات زيون » أى « أحباء صهيون » منتشرة هناك فانضم إليها وأخذ يقوم بدوره فى الدعوة للحركة الصهيونية .

وفى ذلك الوقت أيضاً قامت حركة بين اليهود تدعو إلى اندماجهم فى الشعوب التى يعيشون بينها كوسيلة للقضاء على الروح المعادية للسامية التى كانت منتشرة وقتئذ فى بلاد كثيرة ، وقد وجدت هذه الفكرة تشجيعاً كثيراً من بعض الأوساط اليهودية إلا أنَّ « حاييم وايزمان » لم ير رأيهم إذ كان يعتقد أنَّ الاندماج فيه خطر كبير على الصهيونية وأحلامها ، فأخذ يعارض الفكرة ويقاومها بشتّى الوسائل .

واستأنف نشاطه الصهيونى فى ألمانيا وراعه ما كان عليه اليهود هناك من شعور بمركب النقص .. فاعتقد منذ ذلك الوقت أنَّ العمود الفقرى للحركة الصهيونية هم يهود روسيا لثقافتهم اليهودية العميقة وشعورهم بكيانهم القومى .

وقطع دراسته وعاد إلى « بنسك » ليعمل عاملاً فى أحد المعامل الكيماوية . وقد طُلِبَ للتجنيد بعد وصوله مباشرة إلا أنه بذل ما فى وسعه للتهرب من الخدمة العسكرية ، إذ أنه « لم يكن مستعداً أن يضيع أربعة أعوام من عمره فى خدمة القيصر » .

ولكنه ما لبث أن عاد إلى ألمانيا ثانية عام ١٨٩٥ ليلتحق بمدرسة « البوليتكنيكوم » التى كانت تعتبر أحسن معاهد أوروبا فى العلوم والكيمياء .

وكان تعصب اليهود الروس - بوصفهم الحركة الصهيونية وفكرة العودة إلى فلسطين فى المقام الأول لتفكيرهم بدلاً من مقاومة الحكم القيصرى فى روسيا - جعل كلا من لينين وتروتسكى

يُعرضان عنهم . إذ كانا يعتقدان أنه على اليهود أن يعتبروا أنفسهم روسيين أولاً قبل أن يكونوا يهوداً . فما كان من « وايزمان » إلا أن شكَّل لجنة يهودية ثورية تعمل للحركة الصهيونية ولمقاومة القيصر فى الوقت نفسه أسماها « البوند » أى « الرابطة » .

وتمت أولى المقابلات بين « بلفور » و « وايزمان » وكان سبباً فى توطيد العلاقة بينهما والتى انتهت بصدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧

ولم يكن « وايزمان » على علم بما يدور من وراء ستار . إلا أنَّ رسالة سرية غامضة وصلته من وشنجطن فى يونيو ١٩١٧ أرسلها إليه القاضى اليهودى « برنديس » رئيس المحكمة العليا للولايات المتحدة الأمريكية يطلب منه السفر فوراً للاتصال بلجنة أمريكية فى طريقها إلى الشرق وفى جيبها مشروع خطير .

وكان كل شئ غامضاً أمام « وايزمان » فبدأ فى اتصالات واسعة للوقوف على ما يجرى ولتفسير ما ورد فى رسالة « برنديس » الغامضة ، وعندما اتصل « وايزمان » بـ « بلفور » وزير الخارجية البريطانية أخبره فى الحال بواجب اللجنة وتفاصيل الاتصال التى دارت بخصوصها مضيفاً أنَّ بريطانيا لا ترحب بالمشروع ، وأنها تود من صميم قلبها إحباط أعمال اللجنة وإجبارها على قطع مهمتها والعودة ثانية من حيث أتت .

ولا يفوتنا أنه فى إبريل ١٩٠٩ شكلت منظمة « هاشومير » (الحارس) على نمط « جماعات الدفاع الذاتى » فى روسيا ،

ولم يكن شعارها « الحراسة والدفاع » . بل كان شعارها الذى نادى به « النبى المسلح » - داڤيد بن جوريون - هو :

« بالدم والنار سقطت يهودا ، وبالدم والنار ستقوم يهودا » .

وقد برزت ملامح أيديولوچية « هاشومير » فى الاقتراحات التى أعلنتها عام ١٩١٢ كأسلوب لحماية « اليشوف » (الاستيطان اليهودى القديم) على أساس النقاط التالية :

١ - ألا يقتصر دور « هاشومير » على توفير الحماية المادية للمستعمرات اليهودية ، بل عليها أن تغرس فى السكان الإحساس بواجبهم فى الدفاع عن أنفسهم .

٢ - أن توفر النواة العسكرية القادرة على توسيع نطاق الوظائف الدفاعية فى المجتمع اليهودى .

٣ - أن تحتكر « هاشومير » حق الإشراف على الدفاع عن المجتمع اليهودى فى فلسطين .

وحينما قابل « وايزمان » روزفلت بعد ذلك نقل إليه رسالة « تشرشل » فوافق عليها وأظهر استعداده الكامل للمساعدة .

وفى أثناء إقامته فى الولايات المتحدة الأمريكية عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية برمتها على هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وركّز « وايزمان » جهده وقتئذ لمتابعة الموقف وخاصة بالنسبة لمشروع تقسيم فلسطين ، وسأسرد هنا قصة حدثت فى أربعة فصول ...

الفصل الأول : وايزمان يقابل ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتئذ صباح أحد الأيام .. يتحدث « وايزمان » عن مشروع التقسيم وأنَّ « النقب » بكامله يجب أن يكون من نصيب اليهود . فالقسم الشمالى من « النقب » من غزة إلى عسلوج وبئر السبع بلاد جميلة ، وما عدا ذلك فالنقب هو مجرد صحراء تحتاج إلى المياه . ويمكن التغلب على هذه المشكلة عن طريق نقل المياه من الشمال وفقاً لمشروع « لوزرميلك » أو عن طريق المياه الجوفية التى تكثر هناك بحفر الآبار . وموضوع المياه اللازمة للنقب كان محل دراساتنا الجادة فى معاملنا بـ « راحابوت » .

الفصل الثانى : المكان ... ليك سكسيس . مقر الوفد اليهودى

الزمان ... الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه .

ذهب السفير « هرشل چونسون » رئيس الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة لزيارة « شرتوك » رئيس الوفد اليهودى لإبلاغه وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية بشأن مشروع التقسيم ، وتحدث معه عن مشكلة النقب وأوضح لـ « شرتوك » توضيحاً قاطعاً أنَّ السياسة الأمريكية بخصوص خليج العقبة هو أن يكون فى يد العرب .

وذعر « شرتوك » للهجة « هرشل » القاطعة . وبدأ القلق يستولى عليه . فلم يكن يدرى مقابلة « وايزمان » لـ « ترومان »

الفصل الثالث : أحد السكرتيرين يدعو « هرشل چونسون »

لمحادثة تليفونية . رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بنفسه على الطرف الآخر من الخط . يذكر ترومان لرئيس الوفد الأمريكى أنه يعتقد أنَّ إبقاء « العقبة » ضمن الأراضى اليهودية أمر معقول وعلى الوفد الأمريكى أن يعمل جهده مع الوفود الأخرى لتحقيق ذلك .

الفصل الرابع : يعود « هرشل چونسون » إلى الحُجرة نفسها . « شرتوك » جالس والكآبة تعلو وجهه .

ويتحدث « هرشل » إلى « شرتوك » ويقول له : فى الحقيقة يا سيدى ليس لدينا شئ هام نقوله لك . ولكن انس كل ما قلته لك سابقاً .

وغادر « هرشل چونسون » قاعة الاجتماع وقد عقدت الدهشة لسان « شرتوك » إلى أن عرف ما حدث بعد ذلك .

وإلى هذا الحد تهون مقدَّرات الأمم !!!

وكان من نتيجة موقف الوفد الأمريكى أنَّ مشروع التقسيم قد وافقت عليه هيئة الأمم فى ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ : ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً .

* * *

ناحوم جولدمان

ينتمى « ناحوم جولدمان » إلى جيل من الصهانية ، وُلِدَ فى بلاد شرق أوروبا ، ثم نشأ فى غربها فجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، يهودية وغير يهودية .

كان جده لأبيه يهودياً روسياً .. عمل حاخاماً أيضاً ..

ووُلِدَ أبواه ونشآ فى روسيا قبل أن يهاجرا إلى فرنكفورت بألمانيا حيث كانت الحياة أسهل وأيسر .

وتخصصت أسرته فى تعليم اليهود اللغة العبرية وقت أن كان تعليم هذه اللغة عزيز المنال .

ويتحدث « ناحوم جولدمان » فى مذكراته عن كيف نشأت علاقته بـ « هيس » فيقول : كان « هيس » يعمل فى ذلك الوقت محرراً فى صحيفة « هيسلبرونز نيكارزتج » وكان مهتماً بالشئون اليهودية ويحضر بعض المحاضرات التى كنت ألقيها فى مقابل أجر معيَّن ، وقبل ساعات من إلقاء إحدى هذه المحاضرات قابلت فتاة بولندية رائعة كانت طالبة أيضاً فى « هيلدبرج » واستغرقنا فى حديث طويل أنسانى الذهاب إلى « هيلبرون » حيث ألقى محاضرتى .

تُرى كم منا نحن العرب كان يعرف هذه العلاقة وقت إجراء هذه المفاوضات ؟ وفى ذلك الوقت سنحت له فرصة لزيارة فلسطين ضمن رحلة مدرسية - كان ذلك عام ١٩١٣ - وأمضت الرحلة مدتها المقررة وهي أربعة أسابيع عادت بعدها إلى ألمانيا .. إلا أنّ « جولدمان » تخلّف هناك عن زملائه وأقام فى فلسطين مدة خمسة أشهر كاملة مضحياً بنصف عام دراسى فى سبيل التعرف على فلسطين .. فزار « تل أبيب » و « القدس » و « رحابوت » و « ريشون ليزيون » و « ديجانيا » .

فالشخصية اليهودية تميل إلى ناحية التفرق والتشتت بالدرجة نفسها التى تميل فيها نحو الاستقرار الإقليمى والحنين إلى أرض الميعاد . والتاريخ اليهودى قام دائماً على حركات للخلف وأخرى للأمام . والتاريخ اليهودى دار دائماً بين قطبين : الانطلاق إلى الخارج والحنين إلى الداخل . فإن تيسر والحالة هذه استقرار بعض اليهود فى فلسطين مع بقاء بعضهم الآخر فى « المنفى » فإنَّ ذلك سوف يجعل من الوطن الصغير وطناً فريداً متميِّزاً عن غيره من الأوطان .

ووسط كل هذه الظروف المتشابكة شكلت بريطانيا عام ١٩٣٦ لجنة ملكية لبحث الموقف المتردى فى فلسطين ، وتكوَّن وفد المفاوضات الإسرائيلى من « وايزمان » و « بن جوريون » ، ويذكر « جولدمان » أنَّ « وايزامان » استدعاه لمقابلته فى الفندق .

وطالب ترومان بإدخال مائة ألف يهودى إلى فلسطين فوراً إلا أنَّ بريطانيا عارضت ذلك بكل عنف . فاجتمع المجلس التنفيذى الصهيونى فى باريس فى يوليو (تموز) عام ١٩٤٦ وأعلن موافقته

مرة أخرى على مشروع محدَّد بقبول فكرة إنشاء دولة يهودية فى منطقة مناسبة من فلسطين على أن يتم ذلك بالشروط الآتية :

١ - الموافقة على تهجير مائة ألف يهودى مع السماح بنقلهم فوراً إلى فلسطين .

٢ - منح المنطقة اليهودية فى فلسطين الحكم الذاتى إدارياً واقتصادياً فى الحال .

٣ - الموافقة على إشراف الجهاز الإدارى اليهودى فى منطقته على تنفيذ الهجرة .

وعقب صدور قرار المجلس التنفيذى اليهودى كُلِّف « جولدمان » بالسفر إلى واشنطن للحصول على تأييد الحكومة الأمريكية على مشروع التقسيم ، وكان ترومان قد شكَّل لجنة خاصة بفلسطين تتكوَّن من : « دين أتشيسون » وكيل وزارة الخارجية ، و « چون سنايدر » وزير الخزانة ، و « روبرت باترسون » وزير الحربية .

وتمكن « جولدمان » من إقناع أعضاء اللجنة بوجهة النظر اليهودية ، وبعد أيام قليلة وافق « ترومان » دون تحفظ على مشروع التقسيم .

ويحكى « جولدمان » أنَّ « بن جوريون » قال له مرة : « إنَّ الفرق بينى وبينك أننى لا أتردد فى إصدار الأوامر حتى ولو كانت تعنى موت مئات من شبابنا الأبطال . أما أنت فإنك قد تتردد ، ولذلك فإننى أستطيع أن أقود الشعب وقت الحرب وأنت لا تستطيع .. فرددتُ عليه : إنك على حق ولكننى أتميز عنك بأنه قد يكون فى مقدورى أن أحول دون وقوع الحرب نفسها ... ولا شك عندى أنَّ عملاً كهذا أهم من إدارة الحرب » .

* * *

داڤيد بن جوريون

« لا تبكوا .. ولكن اتبعونى إلى الصحراء »

« داڤيد بن جوريون »

يطلقون عليه أحياناً « النبى المسلّح » . وقد وُلِدَ « بن جوريون» عام ١٨٨٦ فى بلدة « بلونسك » التى تبعد ثمانية وثلاثين ميلاً من وارسو .

وحينما بدأ يكتب فى مجلة الوحدة « هاأشدوت » التى صدرت فى القدس فى ذلك العام (١٩١٠) ... وكتب أولى مقالاته فى هذه المجلة بتوقيع « بن جوريون » أى « شِبل الأسد » .

ومنذ ذلك الوقت - وكان اسمه « حاييم أفجدورجرين » ثم سمى نفسه « داڤيد بن جوريون » قاطعاً بذلك كل صلة له بـ « الدياسبورا » إذ أراد أن يقطع كل صلة له بالماضى .... بالأرض التى وُلِدَ فيها ... وبالاسم الذى عُرِفَ به ليتفرغ لحياته الجديدة التى ارتضاها لنفسه .

وكان الطفل يستمع إلى المناقشات التى كانت تدور فى منزل والده عن الأفكار التى نادى بها « هرزل » . فتملأ عليه تفكيره وتثير فيه أحلاماً لا يدرى كنهها .

كان هذا هو الحَدث الأول ... أما الحدث الثانى فكان وفاة والده « شيندال » . كان « حاييم » الطفل « ابن أمه » . ورث عنها رقة الطباع التى لازمته سنوات بعد وفاة والدته ... ولكنه سرعان ما تلقى عن أبيه بعض صفاته .... فبدأت تزول عنه تلك الرقة التى لازمته . وأصبح يعتمد على نفسه . واكتسبت طباعه حدة لم تكن مألوفة فيه ، وأخلاقه شراسة لم تُعرف عنه ... فأصبح بين معارفه شاباً كثير التأمل .... حاد الطبع ... شرس الأخلاق ...

والحَدث الثالث كان مؤتمر « بازل » الذى دعا إليه « هرزل » ... نوقشت فى المؤتمر موضوعات كثيرة هزَّت كيانه : تأسيس جامعة عِبرية فى القدس ، إنشاء منظمة مالية يهودية كالبنك العالَمى اليَهودى بلندن كى يموِّل عملية استعمار الأرض التى طالما حلم بها اليهود ، اختيار عَلَم من اللونين الأبيض والأزرق (هما اللونان اللذان يمثلان بساط الرحمة لليهود) ، اختيار سلام وطنى عِبرى لدولة ما تزال فى طى الغيب ...

وكان لـ « بن جوريون » صديق يدعى « شلومو زياك » كان قد غادر وارسو إلى فلسطين ليستَطلع الموقف هناك ملبياً نداء الصهيونية فى ذلك الوقت .... « اتجه إلى الشرق أيها الفتى » . وبدأت خطابات « شلومو » تصل إلى « حاييم » يتحدث فيها عن الهجرة التى بدأت تتدفق على فلسطين .

ووصل الصديقان إلى « يافا » على ظهر إحدى بواخر الشحن الروسية ... وطبقاً للتقاليد العِبرية ذهبا فى الليلة نفسها إلى

مستعمرة « بتاح تكفا » أى « بوابة الأمل » أقدم مستعمرة يهودية فى فلسطين والتى يعمل سكانها اليهود بالزراعة . وقد ترك ما رآه هناك فى نفسه عقيدة آمن بها طول حياته . فالعودة إلى فلسطين ممكنة ولكن بناءها وإقامتها لا يمكن أن يتم إلا إذا أقلع اليهود عن عاداتهم المتأصلة بالارتماء فى أحضان الوظائف . فبدون اعتناق العمل لن يتم استيطان أرض الميعاد أو إقامة الدولة اليهودية بين ربوعها .

وفى المؤتمر الثانى لـ «عمال صهيون» وافق المؤتمر لـ « بن زفى » على إصدار مجلة أسـبوعية تصدر باللغة العبِرية اسـمها « هاأشدوت » أى « الوحدة » وقد ساعدته فى إصدارها « رائيل بانايت » والتى أصبحت فيما بعد زوجة لـ « بن زفى » إلا أنَّ « رائيل » لم تكن تتقن العبرية فالتمس « بن زفى » مسـاعدة « بن جوريون » الذى كان يجيدها . وكان من نتيجة ذلك أن استقر به المطاف عام ١٩١٠ فى القدس بصفته أحد موظفى « عمال صهيون » وأحد محررى مجلة « هاأشدوت » وبدأ فى كتابة مقالاته التى وقَّعها بالاسم الذى عُرِفَ به بعد ذلك وهو « بن جوريون » أى « شبِل الأسد » .

كانت الصهيونية مدرستين : الصهيونية السياسية والصهيونية العملية .

وكانت الصهيونية السياسية تهدف إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين عن طريق التفاوض مع الدولة العثمانية للحصول على

موافقتها على ذلك مع كسب تعضيد بريطانيا لفكرة إقامة الدولة اليهودية - وكان « هرزل » من أنصار هذه المدرسة .

وكان « بن جوريون » شأنه في ذلك شأن « حاييم وايزمان » من أنصار اليهودية العملية التى كانت تهدف إلى إقامة الأمر الواقع لليهود فى فلسطين ...

وكان من نتيجة ذلك أنَّ أصحاب الصهيونية العملية قد تمكنوا من السيطرة على كافة أمور المستوطنين اليهود عن طريق سيطرتهم على « الهستدروت » .

وقد قُتِلَ زعيم الوكالة اليهودية وحل « بن جوريون » وأصبح رئيساً للوكالة اليهودية وبالتالى أصبح رئيس وزراء حكومة الظل التى ستحكم إسرائيل عند إنشائها .

وحينما نشبت الحرب العالمية الثانية رفع « بن جوريون » شعار « الحرب فى صف بريطانيا ضد النازى ، والقتال ضد بريطانيا فى معركة الكتاب الأبيض » .

ولقد قرر « بن جوريون » أنَّ الوقت قد حان لإعلان إنشاء الدولة بالرغم مما كان يجرى فى هيئة الأمم المتحدة ، وبالرغم من أنَّ الولايات المتحدة كانت تعارض فى ذلك الوقت تنفيذ مشروع التقسيم لرد الفعل العنيف الذى أحدثه فى جانب العرب الأمر الذى كانت تريد أن تتجنبه .

إلا أنَّ « بن جوريون » كانت قد اتخذ القرار بصفته رئيس وزراء حكومة الظل التى كان قد تم تعيين أعضائها حتى يتمكنوا

من شغل مراكزهم فى لحظة إعلان قيام الدولة ، وقد اجتمع بهم « بن جوريون » عدة مرات وحدد لهم مأموريتهم الأولى حينما يحين الوقت بأنها : « ليست شغل الوظائف الرئيسية الهامة ، فهذا أمر فى غاية السهولة . إذ أنَّ الشئ الذى يروعنى حقيقة هو شغل الأماكن التى تدير الخدمات العامة .... سائقو القطارات ، عمال التليفون ، عمال البرق ، الأفراد اللازمون للمستشفيات » . وشكَّل لجنة وكل إليها وضع تنظيم لعدد من المصالح الحكومية الهامة لتنفيذه فور تحديد ساعة الصفر .

وقبل يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ بفترة قصيرة اجتمع بزعماء اليهود فى فلسطين ليطلعهم على قراره بإعلان الدولة ، وذكر لهم أنَّ واجب الجالية اليهودية فى الأيام الحاسمة المقبلة هو « تقديم كل ما لديها من رجال ومال وخبرة ودراية وعلم ، إذ أنَّ النصر رهن بمقدار ما نقدم من منطق وذكاء وإصرار » .

وقبل إعلان الدولة بأيام قليلة دعى المجلس الوطنى الذى كان قد تم تشكيله من سبعة وثلاثين عضواً إلى عقد جلسة خاصة ، وقد تم فى هذا الاجتماع تحديد موعد إعلان الدولة بصفة نهائية ودارت مناقشة حادة لاختيار اسم الدولة الجديدة ..

واقترح البعض اسم « جوديا » ومعناها « يهودا » ولكنها كانت تعنى المنطقة المحيطة بالقدس فحسب . فاستُبْعِد .

واقترح البعض اسم « زيون » إلا أنه اسم يُطلق على جبل يشرف على القدس فحسب فاستُبْعِد أيضاً .

واقترح اسم « إينار » ومعناها « العبرية » إلا أنه استُبْعِد بدوره .

وأخيراً اقترح « بن جوريون » اسم « إسرائيل » فووفِقَ عليه بعد نقاش لم يستمر طويلاً .

وفى يوم ١٤ مايو (آيار) ١٩٤٨ أعلن « بن جوريون » قيام الدولة .

وفى يوم ١٥ مايو (آيار) ١٩٤٨ بدأت الحرب مع العرب .

وكان أخطر ما واجه « بن جوريون » فى فترة قصيرة بعد إعلان الدولة هو أزمة الباخرة « التالينا » . التى وصلت إلى شواطئ فلسطين وهى محملة بالأسلحة والذخيرة والعتاد لحساب عصابة « الأرجون » .

وعقب إعلان الاستقلال أصدر « بن جوريون » تنفيذاً لذلك وبصفته رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع أمراً بتحريم قيام الجيوش الخاصة على أن تتبع المنظمات القائمة وقتئذ الحكومة الإسرائيلية . إلا أنَّ « الأرجون » لم تمتثل للأمر ولم تنفذ ما تعهدت به . وبعد محاولات واتصالات عديدة مع « مناحم بيجن » رئيس عصابة «الأرجون» تم الوصول إلى اتفاق يتضمن النقاط الآتية :

١ - تحل « الأرجون » نفسها بطريقة اختيارية .

٢ - يجند أعضاء « الأرجون » فى قوات الدفاع الإسرائيلية طبقاً لقانون التجنيد ويقسمون يمين الولاء المعمول به فى الجيش .

٣ - تُسلَّم الأسلحة والمهمات العسكرية التى فى حيازة «الأرجون» إلى جيش الدفاع الإسرائيلى .

٤ - وقف جميع مظاهر النشاط والاتصالات الجارية للحصول على الأسلحة والمهمات العسكرية لحساب « الأرجون » ونقل ما تم الاتفاق عليه فعلاً لحساب جيش الدفاع الإسرائيلى .

واستدعى « بن جوريون » قائد « البالماج » إيجال آلون وأمره بضرب السفينة « التالينا » بالمدفعية وإغراقها ، ونفَّذ آلون التعليمات مساء اليوم نفسه فانفجرت السفينة بما عليها من ذخيرة وأسلحة ، وقُتِلَ فى هذه العملية مائة إسرائيلى . ثم أصدر « بن جوريون » تعليماته بالقبض على رجال « الأرجون » وأودع المئات منهم فى السجون .

وفى عام ١٩٢٥ اقتنعت زعامة « الهستدروت » بضرورة وجود منظمة دفاعية سرية لمواجهة تطورات الموقف ، فووفقَ على إنشاء « الهاجاناه » وقد زاد الاهتمام بها بعد صدور الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠ .

وبدئ فى عقد دراسات تدريبية للأفراد ، وخصص لقيادة « الهاجاناه » مكان فى مجمع « الهستدروت » بتل أبيب، وكانت رئاسة « الهاجاناه » هذه هى نواة وزارة الدفاع الإسرائيلية بعد قيام الدولة اليهودية .

وكان « بن جوريون » قد أتم استعداداته لمواجهة الموقف فى مايو (آيار) ١٩٤٨ وهو التاريخ الذى حددته هيئة الأمم المتحدة لجلاء بريطانيا عن فلسطين .

وفى إبريل (نيسان) ١٩٤٨ أسست « إدارة الدفاع » والتى ستصبح وزارة الدفاع بعد إعلان الدولة . وقد أوضح « بن جوريون » لحكومة الظل أنه سيقوم بأعباء مسئولياته فى وزارة الدفاع بشرطين :

١ - خضوع الجيش الجديد « زاحال » وجميع فروعه لحكومة الشعب .

٢ - إلغاء كافة المنظمات العسكرية أو شبه العسكرية فور صدور الأوامر بذلك .

وأضاف :

١ - « زاحال » جيش إسرائيل الوطنى ولا يُسمح له بالتدخل فى السياسة .

٢ - الكلمة العليا لتقرير المسائل المتعلقة بالحرب أو السلام للسلطة المدنية .

٣ - وزير الدفاع هو الحَكَم النهائى فى الصراعات التى قد تنشأ بين المدنيين والعسكريين .

٤ - السيطرة المباشرة والمستديمة لوزير الدفاع على شئون الضباط .

٥ - المسائل المتعلقة بالسياسة الخارجية يقتصر بحثها داخل نطاق مجموعة صغيرة من المدنيين والعسكريين المختارين ، أما المسائل المتعلقة بأمور أمن الدولة فيتم البت فيها على أعلى مستوى .

وكان تكوين « زاحال » على أنقاض « الهاجاناه » بما فيها من تناقضات ، وإدخال التجنيد الإجبارى فى الجيش ، وإخضاعه إلى القيادة السياسية ، وإلغاء العصابات الإرهابية وتصفيتها عملاً صعباً لم يكن بقادر على مواجهته والقيام به إلا « بن جوريون » ، ولم يكن من السهل إبعاد الجيش عن السياسة إذ ورث « زاحال » عديداً من الاتجاهات السياسية بين رجاله ، فالضباط ما زالوا على ارتباطاتهم السياسية القديمة لدرجة أنه حينما وقف « بن جوريون » وقفته الصلبة مصمماً على ضرورة إبعاد الجيش عن السياسة تفجَّر الموقف واستقال عديد من الضباط احتجاجاً على هذه السياسة

واعتبر « بن جوريون » أنَّ قوة « زاحال » هى بمثابة الحياة أو الموت بالنسبة لإسرائيل ، فهزيمة « زاحال » معناها تدمير دولة إسرائيل وزوالها من على سطح الأرض ، وتأسيساً على ذلك كان هو صاحب نظرية « تطويق العرب » التى أصبحت الأساس الذى يعمل « زاحال » على هديه . فعلى إسرائيل أن تتفوق بصورة مستديمة على البلاد العربية مجتمعة من ناحية القُدرة القتالية حتى يتيسر لها حماية حدودها بل تعديلها عن طريق القيام بالغارات الانتقامية والمناورات المرنة فوق الأراضى العربية . إنَّ معنى « الردع » فى « زاحال » هو فرض السلام عن طريق القوة .

وفى أواخر عام ١٩٥٣ كان « بن جوريون » رئيساً لوزارة إسرائيل ووزيراً للدفاع فى الوقت نفسه ... وكانت كل الأسرار فى يديه ، كما كان كل شئ فى إسرائيل معلقاً على شخصه .

وفجأة دعا اللجنة المركزية لحزب « الماباى » إلى اجتماع طارئ دون جدول أعمال ، ووجَّه إليها رسالة جاء فيها : « لم يعد فى إمكانى الاستمرار فى تحمل أعباء مناصبى بعد الآن .. فعلى إمتداد ست سنوات وأنا أقوم بواجبى فى ظروف صعبة وفى جو مشحون بالتوتر . لذا فقد آن الأوان لكى أتنحى عن رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع مع استمرار احتفاظى بمقعدى فى البرلمان . وحالما تتم الإجراءات المترتبة على هذا القرار سأترك تل أبيب إذ قررت الإقامة فى مستعمرة سد بوكر » .

وغُصَّت الدار والشوارع المحيطة بها بآلاف المُوَدِّعين وقد غلبهم التأثر وأجهشوا بالبكاء وراحوا يمسحون دموعهم بمناديلهم البيضاء . وركب « بن جوريون » سيارته ومعه زوجته « باولا » ورفع يده مودعاً وقال للجميع : « لا فائدة من البكاء ... إذ الأفضل أن تتبعونى إلى الصحراء » .

وعمل « بن جوريون » فى مبدأ الأمر بالزراعة ، إلا أنه عمل بعد ذلك فى رعى الأغنام وقص أصوافها .

أما زوجته « باولا » فعملت فى التمريض .

وأمضى « بن جوريون » أربعة عشر شهراً فى « سد بوكر » ولكنه كان يعرف ما يجرى لحكومة الائتلاف ... كانت الخلافات قد ازدادت والأزمات قد تلاحقت ... زارته « جولدا مائير » لتحدثه عن المتاعب التى يواجهونها ، وكان « موسى شاريت » على اتصال دائم به يلح عليه فى العودة إلى وزارة الدفاع لأن الموقف فيها أصبح فى حاجة مُلِّحة إليه .

وأخيراً قَبِلَ « بن جوريون » العودة إلى وزارة الدفاع .

وحلف اليمين القانونية وهو بالملابس الكاكى ... الملابس نفسها التى عاش بها فى « سد بوكر » .

وظل « بن جوريون » وزيراً للدفاع فى حكومة « أشكول » من ٢٢ فبراير ١٩٥٥ حتى ٤ نوفمبر ١٩٥٥ حينما عاد لتولى رئاسة الوزارة مرة أخرى .

ويحدد « بن جوريون » مشاكل إسرائيل الحيوية والعاجلة فى الآتى :

١ - مضاعفة سكان إسرائيل خلال الخمسة عشر عاماً القادمة بعودة يهود البلاد الشيوعية والإسلامية إلى وطنهم مع تشجيع عودة اليهود من البلاد الأخرى .

٢ - تعمير المناطق غير الآهلة بالسكان فى الشمال والجنوب واستغلالها فى الزراعة والصناعة ، ويمكن للنقب استيعاب مليونى يهودى بسهولة فيستطيع العلم والتكنولوچيا الحديثة والطاقة الذَرِّية والجهود الرائدة للشباب الإسرائيلى تحويل هذه الأراضى المقفرة إلى أراضى مأهولة بالسكان .

٣ - سد الفجوة الثقافية والتعليمية التى تفصل بين المهاجرين والأوروبيين وما هم عليه من تقدم ، وبين المهاجرين الآسيويين والإفريقيين الذين جاءوا عرايا معدمين على أن يتم ذلك خلال الخمس عشرة سنة القادمة .

٤ - العمل على كسب ود الشعوب العربية بعقد ميثاق سلام معها ، وحينئذ ستبذل إسرائيل كل جهودها للتعاون الاقتصادى والثقافى والسياسى لتحقيق رفاهية شعوب المنطقة ، وسيحقق هذا السلام - لو أمكن - تخفيف التوتر بين الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الأمريكية .

٥ - تحقيق الازدهار الاجتماعى وخلق مجتمع جديد فى إسرائيل لا استغلال فيه ولا تفرقة .

وفى إبريل ١٩٠٩ شُكِّلت منظمة « هاشومير » (الحارس) على نمط جماعات الدفاع الذاتى فى روسيا ، ولم يكن شعارها « الحراسة والدفاع » بل كان شعارها الذى نادى به « النبى المسلّح » - داڤيد بن جوريون - هو « بالدم والنار سقطت يهودا ، وبالدم والنار ستقوم يهودا » .

* * *

إيجال آلون

« تحول بعض الاعتبارات السياسية دون التصريح علناً بضم المناطق المحتلة ... ولكن أعمال الاستيطان الواسعة لا تحتاج إلى تصريحات . والاستيطان المسلح لهذه المناطق ضرورة من ضرورات الأمن ، فكما لا يمكن تحقيق النصر فى الحرب إلا بالمعارك فإنه لا يمكن تحقيق النصر فى الصراع السياسى حول مناطق معينة دون خلق حقائق استيطانية » .

« إيجال آلون »

وُلِدَ « إيجال آلون » فى « كفار طابور » فى الجليل .... وبهذا فهو من جيل « الصابرا » تماماً كصديقه اللدود « موشيه ديان » .

وقد أمضى « إيجال آلون » حياته الأولى فى المستعمرات إلى أن أصبح زعيماً لحزب « أحدوت هاعفودا » أى « اتحاد العمال » الذى استمد قوته الأساسية من انضمام سكان المستعمرات الزراعية الاشتراكية إليه . وكان الحزب فى بدايته جناحاً يسارياً داخل حزب « الماباى » ، ثم انفصل عنه ليعود إلى الاتحاد معه مرة ثانية فيما بعد.

وقاد « إيجال آلون » عدة عمليات للاستيلاء على أرض العرب بالقوة وإقامة المستعمرات فيها بالرغم من سياسة سلطة الانتداب

يفكر « إيجال آلون » أنَّ الدولة العربية تتمتع بمزايا أربعة تحقق لها قُدرة عسكرية هائلة :

* فهى تشكل أكثرية ساحقة .

* وهى تحيط بإسرائيل من كل جانب .

* وتمتلك نصف احتياط البترول العالَمى .

* سهولة اتصالها بعضها مع بعض فى مواجهة إسرائيل .

أما إسرائيل فيرى « إيجال آلون » أنه :

وفى مقابل كل هذه المزايا تتمتع إسرائيل بميزة واحدة تحقق لها التفوق على البلاد العربية . هذه الميزة هى بناؤها الاجتماعى والسياسى .

وما كان يمكن لإسرائيل أن تركن إلى هذه الميزة الوحيدة بل كان من الواجب عليها أن تواجه المزايا التى تتمتع بها الدول العربية بالآتى :

* فلمواجهة التفوق العددى للبلاد العربية لجأت إسرائيل إلى تنظيم جيش احتياطى على درجة عالية من الاستعداد والقُدرة القتالية .

* ولعلاج مشكلة العمق الاستراتيچى الذى تفتقر إليه أحسنت تنظيم دفاعها الشامل والذى يرتكز على المستعمرات وسكانها .

* وللتغلب على مشكلة افتقارها للموارد الطبيعية لجأت إلى ضغط المصروفات وتحديد أسبقيات لمشروعاتها .

* وللخروج من عزلتها وثّقت روابطها مع الشعب اليهودى فى الخارج أو فى المنفى - على حد تعبيره .

ويرى « آلون » أنّ إسرائيل :

* لا تعترف بالانسحاب .

* تؤمن بحتمية نقل الحرب إلى أرض العدو .

* تحطيم حشوده فى أقل فترة زمنية .

* التواجد العسكرى فى أرضه لكسب مركز مساومة فى مفاوضات السلام لتعديل الحدود .

* الاحتفاظ الدائم بميزة المبادرة حتى تتحاشى هجوماً مفاجئاً يتهددها .

ويرى « آلون » أيضاً أنّ إسرائيل تعطى قواتها الجوية أقصى درجة من الأهمية وذلك حقق :

* المفاجأة .

* تجنب الأهالى المدنيين أية غارات جوية مضادة .

* تعبئة الاحتياطى دون تدخل من الجو .

* سلامة الصناعة واستمرار الإنتاج .

* قيام القوات البرية بخوض معاركها دون تدخل فى الجو .

* السماح لطائرات الهليكوبتر بنقل الأفراد والإمدادات على نطاق واسع .

وبذلك تحقق النصر العسكرى الكبير الذى يجب أن يتحوّل من مجرد نصر عسكرى إلى كسب سياسى ثابت طويل الأجل .

ثم يعرض « آلون » النتائج السياسية لحرب يونيو (حزيران) من وجهة نظره فيقول :

* أصبح البترول العربى أكثر حاجة إلى أسواق أوروبا وليس العكس . وبذلك فإنّ التهديد بسلاح إيقاف ضخ البترول أصبح تهديداً أجوف .

* كما أصبح فى إمكان العالَم أن يعيش طويلاً بدون قناة السويس .

* اشترطت الولايات المتحدة الأمريكية على الأردن عدم استخدام الأسلحة الأمريكية التى تبيعها إياها ضد إسرائيل .

* أنّ الولايات المتحدة تريد الإبقاء على الوضع الحالى لمنع أى اختراق سوڤييتى .

* إعتاد العالَم المتدين على اختلاف مذاهبه سيطرة إسرائيل على الأماكن المقدسة فى القدس وسوف تثبت إسرائيل أنها أقدر من غيرها على الحفاظ على سلامة هذه الأماكن وحمايتها وتوفير حرية العبادة لكل الأديان .

وخلال فترة الطوارئ هذه على إسرائيل تحقيق الآتى :

١ - تطبيق نظرية « دمج الدرع والسيف » أى تعاون الأسلحة الدفاعية والأسلحة الهجومية .

٢ - زيادة قُدرة السلاح الجوى من ناحيتى الكم والكيف .

٣ - لحسم نتيجة الحرب يجب تقوية القوات البرية وجعلها قوة هجومية حاسمة .

٤ - وإذا كان على إسرائيل أن تعطى الأسبقية الأولى لسلاحها الجوى والأسبقية الثانية لقواتها البرية فعليها أن تعطى الأسبقية الثالثة لسلاحها البحرى .

٥ - على إسرائيل ألا تسمح للعدو بالتفوق عليها فى مجالات العلم والتكنولوچيا خاصة فيما يتعلق بالذَرّة .

(ويُلاحَظ أنَّ « إيجال آلون » يتحدث هنا بغموض كامل عن النشاط الذَرِّى الإسرائيلى لأغراض تتعلق بالأمن) .

ثم يتحدث « آلون » عن الحدود الآمنة ...

حينما اتُفِقَ على خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ اتُفِقَ عليها على أساس أنها خطوط مؤقتة إلى أن يتم الاتفاق على حدود سياسية دائمة فى نطاق معاهدات سلام . ومعنى ذلك أنَّ الحدود الفاصلة بموجب اتفاقات الهدنة هى حدود مؤقتة لا بد أن تُستبدَل بحدود دائمة ومُتفَق عليها .

ولقد أُلغيَت اتفاقات الهدنة عام ١٩٦٧ ... فمنذ الدقيقة التى بدأت فيها حرب يونيو (حزيران) انتهى العمل بهذه الاتفاقيات وبذلك أصبحت خطوط الهدنة لاغية واستُبدِلَ بها حالياً خطوط

وقف إطلاق النيران الذى استجاب إليه الطرفان بعد حرب الأيام الستة .

وعند قيام إسرائيل برسم الخريطة الجديدة التى تكفل لها حدودها الآمنة ينبغى عليها أن تضع فى اعتبارها ثلاثة عوامل جوهرية :

* احتياجات أمن إسرائيل .

* التطلع التاريخى للشعب اليهودى إلى أرضه .

* الإمكانيات السياسية .

حتى معاهدة السلام لا تضمن الأمن الإسرائيلى فإنَّ معظم الحروب فى التاريخ نشبت بين دول كانت تعيش فى سلام بعضها مع بعض .

إذن ففى رأى « إيجال آلون » أنَّ أمن إسرائيل لا يتحقق بنزع سلاح المناطق المحتلة .

ولا بضمان الهيئات الدولية أو الدول العظمى .

ولا بالقوات الدولية .

ولا بمعاهدات السلام .

فكيف يتحقق أمن إسرائيل إذن ؟

ويجيب « إيجال آلون » بأنَّ الأمن الإسرائيلى لا يتحقق إلا بالأرض .

وملخص الأمن الإسرائيلى من وجهة نظر « إيجال آلون » أنه لا يتحقق بالضمانات الدولية ، ولا بالقوات الدولية ، ولا بمعاهدات السلام ... إنه يتحقق فقط بالأرض . تلك الأرض التى تصلح كقواعد صالحة للهجوم الإسرائيلى فى المستقبل .. والحدود حينئذ يجب أن ترتكز على موانع طبيعية مثل القنوات والأنهار والممرات المائية والمرتفعات .. على أن تبدأ بالاستيطان المسلح فى المناطق التى لن تنسحب منها إسرائيل فذلك خير من الإعلان عن ضمها .

* * *

موشيه ديان

من جيل « الصابرا » إذ وُلِدَ ونشأ فى فلسطين . فلم يعرف حياة « الدياسبورا » طوال عمره (أى الشتات) ، ويُطلق على « الصابرا » لفظ « التين الشوكى » ... أما « ديان » فهو ثمرة شاذة من ثمار « التين الشوكى » لشخصيته المعقّدة المليئة بالمتناقضات .

أبوه « صمويل ديان » ولد عام ١٨٩١ فى مدينة صغيرة قرب « كييف » عاصة أوكرانيا بروسيا . كان أبوه حاخاماً للمدينة . وحينما بلغ « صمويل » السابعة عشرة من عمره هاجر إلى فلسطين ليعمل عاملاً زراعياً يفلح الأرض ضمن فئة الروّاد الذين هاجروا إلى فلسطين ... وفى « ديجانيا » وُلِدَ « موشيه ديان » عام ١٩١٥ .

وانضم « موشيه ديان » إلى « الهاجاناه » فى مطلع شبابه وعمل فى فصائل الميدان تحت قيادة « إسحاق صادية » وكان واجب تلك الفصائل القيام بهجمات مفاجئة على العرب . ووقع اختيار « صادية » على اثنين من قادة الفصائل ليكونا نائبين له « موشيه ديان » و « إيجال آلون » ... وشاء القَدَر لهذين الرجلين

اللذين تعارفا فى شبابهما كرفيقى سلاح أن يصبحا بعد ذلك خصمين سياسيين يتنافسان دوماً على الزعامة .

وأخيراً سقط « لاڤون » وعاد « بن جوريون » ثانية إلى وزراة الدفاع .

وانتهت قضية « لاڤون » إلى حين ... إذ أنها أثيرت مرة آخرى عام ١٩٦٠ حينما أثارها « لاڤون » نفسه بعد أن جمع عدة وثائق تثبت براءته ، فشكل « موسى شاريت » لجنة لإعادة بحث الموضوع فانتهت هذه اللجنة إلى أنَّ « لاڤون » لم يُصدر الأمر بالقيام بعملية التخريب ، بل نُفذَت العملية كلها من وراء ظهره وأنه لم يكن يدرى عنها شيئاً . كَما أقرت اللجنة أن بعض الوثائق التى قُدِّمت للجنة عام ١٩٥٤ كانت مزيفة .

ووافق مجلس الوزراء على قرار اللجنة فيما عدا « بن جوريون » وزير الدفاع الذى تغيَّب عن حضور هذه الجلسة و « موشيه ديان » وزير الزراعة الذى امتنع عن التصويت .

وفى ١٦ مايو عام ١٩٦٧ كان الآتون بعد مجتمعين فى رئاسة هيئة أركان الحرب :

إسحاق رابين : رئيس هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى .

يعقوب دورى : أول رئيس هيئة أركان حرب ومدير معهد حيفا للتكنولوچيا .

موشيه ديان : رئيس هيئة أركان الحرب السابق ومدير شركة أيونا لصيد الأسماك .

إيجال يادين : مدير مصانع البحر الميت .

مورفاى ماكليف : المدير بمؤسسة الموانى .

حاييم لاسكوف : مدير إحدى شركات المياه .

وتشاور الرجال واطمأنوا إلى أنَّ كل شئ على ما يرام .

إلا أنَّ « ديان » طلب السماح له بالمرور على الوحدات للتأكد من كفاءتها فقبل « رابين » ذلك ، بل دعا جميع الحاضرين للقيام بجولة تفتيشية على الوحدات .

وفى جولة « ديان » استُقْبِلَ استقبالاً حاراً من كافة القوّات .

ولم يبق أمام « أشكول » إلا أن يرضخ أمام ضغط الرأى العام والجيش والصحافة وعاد « ديان » إلى وزارة الدفاع .

* * *

مناحم بيجن

يبرز مناحم بيجن كواحد من أشد الدعاة إلى فكرة التفوق الصهيونى ، وحق اليهود فى أرض المعاد ، والمناداة بأن القوة فوق الحق ، وأنَّ الغاية تبرر الوسيلة ، وأنه لا وسيلة لتحقيق الغاية الصهيونية سوى العنف وحمل السلاح بصفة دائمة .. « ومن يمت منكم وهو يحارب العرب ... فسوف يبقى خالداً فى مخيلة اليهود » .

ثم يقول مناحم بيجن إنه « بالدم والنار والدموع والرماد سوف يظهر عرق بشرى جديد ، هو عرق اليهود » .

ويضفى بيجن على هذا التشبيه النظرى بين صهيونيته والفاشية بُعداً عملياً آخر .. بقوله : « أنتم الإسرائيليون يجب ألا تأخذكم شفقة أو رحمة عندما تقتلون عدوكم .. يجب أن تقضوا عليه حتى ندمر ما يسمى بحضارة العرب ، التى سوف نشيد على أنقاضها حضارتنا اليهودية » .

ومن بعد هرتزل نادى فلاديمير جابوتنسكى - أستاذ بيجن - بدعوته إلى اعتناق العنف المطلق ، وملء وجدان شباب الصهاينة بالروح العسكرية ، وشحن نفوسهم بالأفكار الفاشية داخل

المنظمات العسكرية التى عمل على إنشائها وصبغها بالصبغة الدموية ، والعنف المطلق ..

ويعتبر مناحم بيجن أنَّ سياسته هى امتداد للحرب وأداة لها ، إذ يؤكد بأنه : « لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ، ولا فى أرض إسرائيل ، ولن يكون سلام للعرب أيضاً ، ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله ، حتى ولو وقَّعنا مع العرب معاهدة صلح » ...

والواقع أنَّ بيجن قد أجاب هنا على تساؤل أستاذه جابوتنسكى : « هل حدث أن تخلى شعب ما عن أرضه برغبته الخالصة ؟ .. إذن فلن يقبل العرب ذلك .. إلا تحت ضغط الإجبار والقسر » ؟! (١) .

ويكشف بيجن عن ذلك فى كتاب « التمرد - قصة الأرجون » ومن خلال التعصب الأعمى الذى ينحدر به إلى تبرير الجريمة يستند إلى نصوص التوراة ليجد الذريعة لمجزرة دير ياسين ، فى نص لسفر الخروج يقول : « فإنى أرفع إلى يديك سكان الأرض ، فتطردهم من أمامكم ، ولا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً . ولا يسكنوا فى أرضك لئلا يجعلوك تخطئ » ..

إنَّ تاريخ بيجن الشائن يؤكد أنَّ للرجل وجهة نظر تاريخية متعصبة ، استقاها من التوراة ، ودعمها بتعاليم أستاذه جابوتنسكى ، ثم صاغها فى عقيدة توراتية تجد سندها فى ثلاثة مصادر رئيسية هى : غطرسة القوة .. والتعصب الأعمى .. وازدراء الغير ...

---

(١) تقديم اللواء الركن : حسن البدرى للتمرد - قصة الأرجون لمناحم بيجن .

وُلِدَ مناحم بيجن فى بلدة برست ليتوفيسك ببولندا عام ١٩١٣ . ودرس القانون فى جامعة وارسو ، وبعد تخرجه لم يمارس المحاماة طيلة حياته . وفى عام ١٩٣٨ التقى بالزعيم الصهيونى المتطرف « فلاديمير جابوتنسكى » الذى عينه ممثلاً للحركة الصهيونية التصحيحية على مستوى الدولة ..

وفى يونيو ١٩٦٧ كان بيجن أكثر السياسيين الإسرائيليين حماساً لإشعال الحرب « لأنَّ الهجوم على العرب لا يعتبر عدواناً وإنما دفاع عن النفس » . على حد زعمه .

ودخل بيجن وحزبه فى هذه الحكومة لأول مرة ، واستمر بها إلى أن راج فى الأفق احتمال قبول الحكومة لمبادرات أو مشاريع مفاوضات حول الأراضى العربية المحتلة ، فسارع هو وأنصاره إلى الانسحاب الفورى من الحكومة .

أما التطلع إلى السلام فيعنى توقيع معاهدات سلام عن طريق المفاوضات المباشرة مع الأطراف المعنية دون شروط مسبقة ، ومع الاحتفاظ بحق إسرائيل فى ممارسة السيطرة على مناطق محررة (١) شيئاً زائداً ، إلا أن أرجون ذكرت بأن « أرض الوطن » قد قطعت ، كما حذَّرت من أنَّ الحرب تدق على الأبواب . وقد أكدنا عقيدة محاربى المقاومة لأول وهلة ، فقلنا :

« إنَّ تقسيم أرض الوطن أجزاء غير شرعى ولن يُعترف به ألبتة . إنَّ توقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطل ولن يكون

---

(١) تقديم اللواء الركن : حسن البدرى للتمرد - قصة الأرجون لمناحم بيجن .

ملزماً للشعب اليهودى ، فلقد كانت القدس ، وستبقى أبداً ، عاصمتنا ، ولا بد أن تعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل ، كلها ، وإلى الأبد » [١] .

ويتحدث بيجن عن إرهابه فيقول :

« بينما كان الهجوم المضاد لا يزال جارياً ، بدأت وحداتنا فى تطهير « المنشية » نفسها فسقطت محطة شرطة المنشية دون أن تطلق طلقة واحدة . صادفنا جيباً من جيوب المقاومة فى مسجد حسن بك ، إلا أنه استسلم بسهولة ، ولم يصب المسجد بأى تلف . رفعنا علم إسرائيل على مئذنته العالية ، وقد رآه كل سكان تل أبيب جميعاً صباح يوم الأربعاء . هكذا وقفت الجموع الهائلة تقر أعينها بذلك المشهد ، فلقد ظلت هذه المئذنة ستة أشهر تقتنص القتلى فى شوارع المدينة ، والآن جاء الخلاص آخر الأمر » [٢] .

ويتحدث بيجن عن خطابه لليهود بعد قيام الدولة فيقول :

« وفى ليلة السبت ١٥ مايو ذهبت إلى محطة إذاعة « أرجون تسفاى ليومى » السرية التى تواجه « مائير بارك » فى قلب تل أبيب . لم أشعر وقتئذ بهيبة المنصة . كنت بين أصدقائى فى « دارى » . فى محطة الإذاعة التى انبعث منها صوت التمرد والحرية إلى كل مدينة وكل قرية فى أرضنا . إلا أنَّ جلال الساعة أرهبنى .

---

(١) التمرد - قصة الأرجون - مناحم بيجن - ص ٤٣٦

(٢) المرجع السابق - ص ٤٧٨

« قلت لمستمعيّ :

بعد سنوات طويلة من حرب المقاومة ، سنوات عديدة من الاضطهاد والمعاناة الروحية والجسدية ، يقف المتمردون على الطغيان أمامكم الآن وآيات الشكر على ألسنتهم ، والصلوات الطيبات ملء قلوبهم . إنَّ آيات الشكر هذه قديمة قدَم الزمن ، فهى التى كان يرددها آباؤنا وأجدادنا تحية للأعياد المقدسة ، وبها كانوا يتذوقون الثمار لأول مرة فى موسم الفاكهة . واليوم يوم عيد مقدس حقاً ، وها هى ذى ثمرة جديدة ماثلة أمام ناظرينا . إنَّ العبرى فى السنوات ١٩٤٤ - ١٩٤٨ قد كُلِّلَ بالنجاح ، وهو أول تمرد منذ ثورة الحشمونيين التى تُوِّجت بالنصر ، هزم حكم الطغيان فى بلدنا واقتلعه من جذوره . انهار هذا الحكم الباغى الذى حكم فى بلادنا . لقد هُزِمَ وانهار وتفرَّق وهبَّت دولة إسرائيل فى معركة دامية ، وبذا رُسِمَ طريق العودة الشاملة إلى صهيون .

« لقد وُضِعَ الأساس - مجرد أساس فقط - للاستقلال الحقيقى ، انتهت مرحلة من مراحل المعركة من أجل الحرية ومن أجل عودة شعب إسرائيل قاطبة إلى أرض الوطن ، معركة استرجاع أرض إسرائيل المقدسة إلى أصحابها الذين وعدهم الله بها . وما تلك إلا مرحلة واحدة فقط » [١] .

« إلا أنَّ كل واحد منا فى حاجة إلى سلاح من نوع آخر بالإضافة إلى هذه الأسلحة المادية - سلاح روحى ، سلاح التحمل

---

(١) المرجع السابق - ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

الذى لا تزعزعه الهجمات من الجو ، سلاح تكبد الخسائر القادمة ، سلاح الصمود أمام الكوارث المحلية والهزائم الوقتية ، سلاح المقاومة الراسخة فى مواجهة التهديدات والمداهنة .

والآن وفى هذا الوقت بالذات تحكمنا حكومة عبرية فى جزء من وطننا . وطالما كان هناك قانون عبرى فى هذا الجزء - وذلك هو القانون الشرعى الوحيد فى هذا الإقليم - فلا حاجة بنا ، بعد ، إلى مقاومة عبرية - سنكون جنوداً وبنائيين فى دولة إسرائيل وسوف نحترم حكومتها لأنها حكومتنا .

« لقد قامت دولة إسرائيل ، ولكن يجب أن نذكر أنَّ إقليمنا لم يتحرر بعد ، وستستمر المعركة ، وها أنتم ترون الآن أنَّ كلمات محاربى أرجون لم تكن عبثاً . إنَّ الأسلحة العبرية هى التى ستقرر حدود الدولة العبرية . هكذا كان الحال فى هذه المعركة .. وهكذا سيكون فى المستقبل : أنَّ الأرض التى وعدنا الله بها أرض موّحدة ، وإنَّ أية محاولة لتمزيق أوصالها ليست جريمة فحسب ، بل إنها كفر وضلال . إنَّ مَن لا يعترف بحقنا الطبيعى فى إقليمنا بأجمعه لا يعترف بحقنا فى أى جزء منه ، وسوف لا نتنازل عن هذا الحق الطبيعى ، وسوف نظل عاملين على توطيد تطلعاتنا إلى الاستقلال التام .

يا مواطنى دولة إسرائيل ، ويا جنود إسرائيل ، إننا فى وسط المعارك ، وإنَّ أمامنا أياماً شاقة .

لا يمكن أن نشترى السلام من أعدائنا بالمصالحة » [١] .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٨ .

« إنَّ هناك نوعاً واحداً من السلام يمكن أن يُشتَرى - إنه سلام المقبرة ، سلام « تريبلينكى » . ولتكونوا شجعاناً فى هممكم ، مستعدين لمزيد من الابتلاء ، ولسوف نصمد وسوف يكون اللّه فى عوننا ، يحفظ الشباب العبرى الباسل ، ويعين الأمهات العبريات على تقديم أولادهن - كما فعلت « حنا » - إلى مذبح الرب » .

ويقول بيجن : « سوف نمضى قُدماً فى طريقنا إلى المعركة ، جند اللّه ، تلهمنا أرواح أبطالنا الأقدمين من غزاة « كنعان » إلى متمردى « يهوذا » وترفرف علينا أرواح هؤلاء الذين بعثوا أمتنا بعثناً جديداً بعد مواتها : زيف بنيامين هرتزل ، وماكس نوردو ، وچوزيف ترمبلدور ، وأبو البطولة العبرية الثائرة زيف يابوتنسكى . ولسوف تكون فى رفقتنا أرواح داڤيد رازيل أعظم قوّاد اليهود فى أيامنا ، ودوف جرونر أحد الجنود العبريين الأبطال ، كما ستكون فى صحبتنا إلى المعركة أرواح أبطال المشانق وغزاة الموت ، وسترافقنا كذلك أرواح الملايين من شهدائنا ومن أسلافنا الذين ذاقوا العذاب وحُرقوا فى سبيل إيمانهم ، ومن آبائنا الذين قُتلوا وأمهاتنا اللائى ذُبحن وأخوتنا الذين قُتلوا وأطفالنا الذين خُنقوا . سوف نحطم العدو فى هذه المعركة ونُخَلّص شعبنا الذى قاسى فى أفران التعذيب متعطشاً إلى الحرية ، ومتحرقاً إلى العدل والإنصاف » (١) .

* * *

(١) راجع التمرد - قصة الأرجون - تأليف مناحم بيجن - تقديم اللواء حسن البدرى .

إسرائيل من الداخل

تنقسم المجموعة الإسرائيلية إلى :

١ - مجموعة اليهود السفارديم :

وهذه المجموعة لم تواجه المشكلة اليهودية أصلاً ولم تختبر معاداة اليهودية بمفهومها الأوروبى ، وقد هاجرت إلى فلسطين تحت ضغط الحركة الصهيونية وإرهابها ، أو تصوراً منها بأنّ معجزة إلهية قد تحققت ، أو أملاً فى مستوى معيشى أفضل من الذى كانوا يعيشون فيه فى بلادهم ، وتمت هجرتهم لا على شكل هجرة فردية ، بل على صوره رحيل جَماعى للسكان . وفى عام ١٩٦٦ كان تقسيم سكان إسرائيل حسب مكان المولد على النحو التالى :

- ٩٧٦ ألف مولودون فى فلسطين (صباريم) أى حوالى ٤٨٪ من عدد السكان اليهود فى إسرائيل .
- ٦٥٢ ألف من الأصل الآسيوى والإفريقى (سفارديم) أى حوالى ٥ ر٢٧٪ .
- ٢٤١ ألف من أصل أوروبى وأمريكى (إشكنازيم) أى حوالى ٥ ر٢٤٪ .

وخلال السنوات من ١٩٤٨ - ١٩٨٠ شكّل المهاجرون من بلدان آسيا وإفريقيا ٤٦٪ من مجموع المهاجرين إلى إسرائيل . وهذه الزيادة المطردة ونسبة المواليد العالية زادت من نسبة السفارديم (الطوائف الشرقية) بين يهود إسرائيل من ٢٢٪ فى نهاية فترة الانتداب إلى حوالى ٥٢٪ فى نهاية عام ١٩٨٠ .

٢ - مجموعة اليهود الاشكنازيم :

وقد هاجرت هذه المجموعة إلى فلسطين إما فراراً من معاداة اليهودية التى مارسها عديد من المجتمعات الأوروبية ، وإما اعتقاداً منها فى الصهيونية كحركة قومية . وهنا تكمن خبرة اليهودى الأوروبى بـ « المشكلة اليهودية » فى أنه عرفها وعانى تجربتها بأشكال مختلفة .

وفى أوقات متعددة ، عرفها كصراع ثقافى بين الفكر والقِيَم المعاصرة والعقيدة اليهودية التقليدية وكصراع داخلى بين الرغبة فى الاندماج بالمجتمع من ناحية والخوف على ضياع هويته اليهودية من ناحية أخرى .

وقد كان هؤلاء « الاشكنازيم » يشكِّلون خلال السنوات ١٩١٩ و ١٩٤٨ حوالى ٨٩٫٣٪ من تعداد المهاجرين الصهيونيين ، ثم وصلت نسبتهم خلال السنوات ١٩٤٨ و ١٩٦٢ إلى ٤٥٫٤٪ ، ووصلت نسبتهم لعدد سكان إسرائيل عام ١٩٦٤ إلى ٣١٫٩٪ وفى عام ١٩٦٧ إلى أقل من ٣٠٪ .

(ملحوظة : سبق وأثبتنا بالدليل القاطع أنَّ الأشكنازيم لا ينتمون إلى الجنس السامى ولم يلدهم إبراهيم ولا إسحاق ولا يعقوب ، وليس منهم سبطاً من أسباط إسرائيل الاثنى عشر) .

٣ - مجموعة اليهود الصباريم :

وهى المجموعة التى وُلِدَت على أرض فلسطين ولا تعرف لها وطناً آخر سوى إسرائيل بعد قيامها . وارتباطها بإسرائيل ليس نتيجة اعتقاد أيديولوچى أو بالصهيونية ، ولكن ببساطة لأنها وُلِدَت هنا . وهى لا تعرف عن معاداة اليهودية ولا السامية إلا ما يقال لها عنها حيث وُلِدَت فى مجتمع أغلبيته يهودية ولم تواجه هذه المعاداة ، ولذلك فليس لديها عقدة اضطهاد كالتى عند آبائها ، ولم تشعر أبداً بإحساس الأقلية الذى عرفه آباؤها من قبل .

(ملحوظة : هذه المجموعة الإسرائيلية هى أشد على العرب والمسلمين عتياً) .

و « صباريم » جمع الصبَّار وهو التين الشوكى الذى يخرج شيطانياً على سفوح الجبال .

ونود أن نذكر هنا أنَّ هذا التباين والتنوع فى الأصول الحضارية بل كذلك أيضاً بما ليس فيه : ليس فيه خوف ، ولا ضعف ، ولا رهبة فى القلب ، وليست فيه شهوة الطمع ، وليس فيه نفاق ، وليست فيه « جيتوية » . إنه « ابن البلاد » ، وثمرة آمال الأجيال ، ويتنافس تماماً مع ما كان يميز « يهود الجيتو » . إنه عبرى وليس يهودياً ، وسوف يقوم بوضع حد لإهانة آبائه . إنَّ كل ما كان يفتقد

إليه اليهودى موجود فيه : القوة والصحة والعمل اليدوى ، والعودة إلى الأرض ، والجذرية ، وكذلك بعض من بطء وثقل الفلاح .

وهكذا ، وبصورة متناقضة ، وُلِدَت شخصية « ابن البلاد » (بن هاآرتس) ، التى أملتها وجهة النظر التى نشأت فى « الشتات » وبكونه نقيضاً « لليهودى الجيتوى » ، فإنَّ هذا « الصبَّار » الأسطورى ظل مرتبطاً به على غرار العلاقة بين الموجب والسالب ، ولا بد من ذِكر هذا ، من أجل فهم تحطم الأسطورة « الصبَّارية » فى المرحلة المعاصرة . إنَّ الشخصية الصبَّارية الراقية ليست خلقاً صبارياً أصيلاً ، بل هى ثمرة الواقع الخاص باليهودى فى « الشتات » . إنَّ « الصبَّار » الأسطورى هو نقيض اليهودى المنحط .

وقد أصبح ظهور الشخصية العِبرية الجديدة « الصبَّار » مقروناً بتحقير توأمه ، وهو « فتى الجيتو » . وقد ترجم رفض « الجيتو » فى الواقع الإسرائيلى إلى رفض لليهودى الجيتوى . وأصبحت شخصية رجل « الجيتو » مرفوضة ، وتقرب فى حالات كثيرة من الشخصيات المعادية للسامية التقليدية ، وفى التصور يحتقر عجزه ويكره « جبنه » . إنه يشعر أنه أقرب كثيراً من « الشعب السليم » فى جسده وروحه عن ذلك « اليهودى المعقَّد » فى الجيتو ، كوصمة عار ليهود أوروبا ، الذين ساروا كالشاة إلى « المذبحة » . وقد كتبت « مارجليت بتاى » و « هربرت راسكول » فى كتابهما « المليون الأول من الصباريم » (همليون هاريشون شل

صباريم) يمتدحان الصبّار بأنه « يشعر بالتفوق إزاء السائح اليهودى من خارج البلاد » ، وأنّ موقفه هذا متأثر من حقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم لماذا سمح ستة ملايين يهودى للنازيين أن يقتلوهم . « إنّ الصبّار لا يستطيع أن يفهم لماذا ماتوا مستسلمين . إنّ هذا كابوس بالنسبة له ، ووصمة عار بالنسبة لكرامته » !!

وقد بحث التصور الذاتى للصبّار ، فى مواجهة اليهودى الجيتوى ، بواسطة دكتور « ج . تامارين » و « بن تسفى » فى بحث أجرى عام ١٩٦٩ . وقد كانت نتائج البحث الذى كان رائداً فى هذا المجال نتائج شاملة .

وهكذا أصبح « الصبّار » موضوعاً للتقدير والأمل ، لقد أصبح « الصبّار » شخصية أسطورية - وبالضرورة شخصية نموذجية - خلّف بناءً متماسكاً لأبناء البلاد الذين سيولدون . إنّ « الصبّار » الراقى لا يتميز بما فيه ، والثقافية للتنويعات الديموجرافية لسكان إسرائيل الذين وفدوا من ٧٠ دولة وفى إطار التباين والاختلاف فى أساليب النشأة الاجتماعية بأنّ كل من السفارديم والإشكنازيم والصبّاريم - فهل يمكن التحدث عن شخصية يهودية واحدة ؟ وممثلون للصفوة المتغلغلة والمسيطرة على شتّى القطاعات الحاكمة فى إسرائيل (الجيش - التعليم - الإعلام - الكيبوتس - الثقافة) .

كما يمكننا التحدث عن شخصية صبّارية تمثل الامتداد الطائفى والحضارى والعمرانى لطائفة الأشكنازيم وتمثل وفق التصور الإسرائيلى التجسيد الحى للوطنية الإسرائيلية والرصيد الحى لضمان الانتماء الإسرائيلى للحضارة الغربية .

إن الإشكنازيم يحتلون قمة الهرم الاقتصادى الاجتماعى فى إسرائيل ، وهم الذين يسيطرون على كل مراكز القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية والأيديولوچية فى إسرائيل .

أما بالنسبة للصباريم (Sabarim) أو السابرا (Sabra) - كما يطلقون عليهم فى المراجع الأوروبية - بأنهم بمثابة الأبناء الحقيقيين والورثة الشرعيين والامتداد الحضارى بكل ما تعنيه هذه الكلمة للاشكانيزم أو الصفوة الإسرائيلية .

أما السفارديم فإنَّ ميولهم من النوع الدينى التقليدى الذى ساد ولو مع تغيرات معيَّنة بين الطوائف اليهودية فى العصور الوسطى . لقد جاءوا إلى إسرائيل بأمل أن يستطيعوا ممارسة حياة كاملة وآمنة وفقاً لطريقتهم الخاصة ولم يأملوا فى أى تغيير متطرف .

وكان ينبغى أن نذكر طائفة أخرى هى « السفارديم » وهم يهود الشتات ، لكن لا وزن لهم فى المجتمع الإسرائيلى ومن ثَمَّ امتنع السرد (١) .

* * *

• تدعيم علاقات الأحزاب الإسرائيلية بنظائرها فى الخارج :

تشترك غالبية الأحزاب الإسرائيلية فى عضوية حركتين دوليتين ، إحداهما حركة حزبية دولية تضم مجموعة من أحزاب الدول الأخرى ،

---

(١) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - بتصرف من ص ٨٣ - ١١٠ .

والثانية حزبية صهيونية عالَمية . فحزب « الماباى » - على سبيل المثال - وهو الحزب صاحب الأغلبية النسبية فى الكنيست ، عضو فى حركة الأحزاب الاشتراكية الدولية التى تضم الأحزاب الاشتراكية فى أوروبا وفى آسيا وغيرهما من القارات ، وهو فى نفس الوقت عضو فى حركة « بوعلى زيون » الصهيونية العالَمية بل يعتبر فرعا لها .

كذلك بالنسبة لـ « حزب الأحرار » الإسرائيلى الذى يُعَد عضواً فى حركة أحزاب الأحرار الدولية وعضواً فى حركة الصهيونيين العموميين ويعتبر فرعاً لها ، و « الحزب الشيوعى » الإسرائيلى وهو عضو فى حركة الأحزاب الشيوعية التابعة لموسكو وإن لم يكن عضواً فى حركة صهيونية عالَمية لعدم اعتراف الشيوعية بالحركات العنصرية .

وتمارس هذه الارتباطات الثنائية لغالبية الأحزاب الإسرائيلية دوراً هاماً تستفيد السياسة الخارجية منه . فبالنسبة لارتباط بعض الأحزاب بحركات حزبية عالَمية ، فإنَّ ذلك يتيح لإسرائيل عرض تجربتها على الأحزاب الأخرى فى العالَم ، وعرض وجهة نظرها من النزاع العربى الإسرائيلى وغيره من القضايا التى تواجهها . ويزداد تأثير هذا العامل فى علاقات الأحزاب الإسرائيلية بنظائرها فى العالَم الثالث حيث إن تأثير الحزب الحاكم فى الدولة النامية يعنى - بالتبعية - التأثير على الرأى العام فى هذه الدولة خاصة وأنَّ الرأى العام الشعبى فى هذه الدول لا يعتبر منظماً إلا من خلال الحزب . ويكفى تدليلاً على أهمية ارتباط الأحزاب الإسرائيلية بنظائرها من الأحزاب الأخرى أنَّ بداية الانطلاق

والتغلغل الإسرائيلي في آسيا جاء عام ١٩٥٣ إثر انعقاد المؤتمر الدولي للأحزاب الاشتراكية الآسيوية في بورما وعرض إسرائيل لتجربتها في التنمية أمام هذه الدول . وإثر انتهاء هذا المؤتمر تبادلت كل من بورما وإسرائيل التمثيل الدبلوماسي وكانت تلك بداية النشاط الإسرائيلي في القارة الآسيوية .

أما بالنسبة لارتباط الأحزاب الإسرائيلية بحركات صهيونية عالمية ، فلا شك أنَّ هذه الحركات ومَن تضمهم من يهود المهجر الذين يُعتبرون من أهم مصادر التمويل للدولة وللأحزاب . تؤثر في آراء هذه الأحزاب الأعضاء من هذه الحركات ، حتى يمكن اعتبارها فروعاً لها في إسرائيل . وهو ما يجعل الأحزاب الإسرائيلية تتأثر بوجهة نظر هذه الحركات الصهيونية العالمية ، وتنقل وجهات النظر هذه إلى الكنيست إذا كانت أحزاباً معارضة ، وإلى الحكومة إذا كانت أحزاباً مشتركة في الائتلاف الوزاري (١) .

* * *

(١) نظرة على الخطر - حاتم صادق - ص ١٣٤ - ١٣٥

ڤيروس التوراة

وتؤمِّن الخطة الإسرائيلية السلام الإسرائيلى !! عندما يأتى الملك المنحدر من بذرة « داود بن يسّى » المثل الأعلى للملك والموعود أن يخرج من صلبه المسيح اليهودى المنتظَر - أى الملك الإسرائيلى الممسوح بالدهن المقدس من كهنة الهيكل ، ليحكم الدنيا من أورشليم ويكون « الرب قد أسس صهيون وبها احتمى بائسو شعبه » (إشعياء ١٤ : ٣٣) ، حيث « يتأصل يعقوب . ويزهر ويفرع إسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً » (إشعياء ٢٧ : ٦) ، لأن الرب « سيسهر عليهم للبناء والغرس » (إرميا ٣١ : ٢٧) فلا يقول الأبناء بعد : « الآباء أكلوا حصرماً وأسنان الأبناء ضرست». (إرميا ٣١ : ٢٩) لأنه « هكذا قال رب الجنود : غِرْتُ على صهيون غيرة عظيمة وبسخط عظيم غِرْتُ عليها . هكذا قال الرب : قد رجعتُ إلى صهيون وأسكن فى وسط أورشليم فتدعى أورشليم مدينة الحق وجبل رب الجنود الجبل المقدس » (زكريا ٨ : ١ - ٣) (١) .

وينطلق إشعياء بنذير اليوم الأسود الذى ينطلق فيه من الهيكل قرار الخراب العالمى بقيام « المملكة الإسرائيلية » ، حيث تكون

---

(١) راجع أسفار إشعيا وأرمياء وزكريا .

« الأمة اليهودية » قد أنتجت فى راحة تامة : « ذكرها » - أى ملكها الموعود .

« صوت صحيح من المدينة وصوت من الهيكل (الذى يُسَخَّر ماسونيونا وروتاريونا المسلمون لبنائه) صوت الرب مجازياً أعداءه » [1] (ومَن غيرنا ؟!) .

« قبل أن يأخذها الطَلْق ولدت . قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكراً . مَن سمع مثل هذا ؟ مَن رأى مثل هذه ؟ هل تمخض بلاد فى يوم واحد أو تولد أُمة دفعة واحدة ؟ فقد مخضت صهيون بل ولدت بنيها ..... إفرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع مُحبيها » (إشعياء ٦٦ : ٧ - ١٠) [2] .

وعلى خراب الدنيا وأنقاض الشعوب ، ومن بين ركام الأرض ومن فوق جثث الضحايا المكشوفة ... من فوق الجبال التى تسيل دماً ، ومن وسط الجيف المنتنة للقتلى ، ينشد الإسرائيليون أغنية النصر :

« فى ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا : لنا مدينة قوية يجعل الخلاص أسواراً ومترسة . افتحوا الأبواب لتدخل الأُمة البارة الحافظة الأمانة » . (إشعياء ٢٦ : ١ - ٢) [3] .

---

(١) راجع أسفار إشعياء وأرمياء وزكريا .

(٢) (٣) راجع سفر إشعياء .

« لأنه هكذا قال الرب ها أنذا أدير عليها سلاماً كنهر ، ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون وعلى الأيدى تُحملون وعلى الركبتين تُدلّلون (يالعدالة السلام ورقى التدليل !!) كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا وفى أورشليم تعزون ..... لأنه هو ذا الرب بالنار يأتى ومركباته كزوبعة (يالطيف !) ليرد بحمو غضبه وزجره بلهيب نار لأنَّ الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بَشر ويكثر قتلى الرب » . (إشعياء ٦٦ : ١٢ - ١٧) (١) .

السلام إذن لصهيون وعروسها أورشليم التى اجتمع فيها بنوها فولدت ذكرها أو ملكها فى راحة تامة - حسب السلوك الهادئ والصامت : « قبل أن يأخذها الطَلْق ولدت » .

« وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك ..... لأنَّ الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد وخراباً تخرب الأمم ..... وبنو الذين قهروكِ يسيرون إليكِ خاضعين وكل الذين أهانوكِ يسجدون لدى باطنَ قدميكِ ويدعونَكِ مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل ..... وترضعين لبَن الأمم وتَرضعين ثدى ملوك ...... وشعبك كلهم أبرار . إلى الأبد يرثون الأرض » (إشعياء ٦٠ : ١ - ٢١) (٢) .

وهكذا تكون الأخوة والعيش فى سلام !!

وعن بنى « العرب » من « قيدار » فالتحريض عليهم دائم ، وتخريبهم وسلبهم باق، وإحاطتهم بالخوف من كل جانب خط مستقيم:

---

(١) ، (٢) راجع سفر إشعياء .

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدار اخربوا بنى المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم وجمالهم وينادون إليهم الخوف من كل جانب »(١) .

(إرميا ٤٩ : ٢٨ - ٢٩)

أما مصر فيخصها « أرميا » بالنصيب الأوفى من رجس الخراب كما خصها « أشعياء » من قبل . وبعد أن « يأكل السيف » « ويشبع » . ويرتوى من « دم المصريين » ، « تسبى » العذارى المصريات وقد ملأ الأرض صراخهن و « يُسحَبن » أسيرات فى « خزى » عالَمى إلى أرض « إسرائيل » فى « جلعاد » .

ولا يفوت « إرميا » وهو يرسم صورة مصر المذبوحة أن يزينها بديكور الخلفية المحيطة بالمنطقة (Back ground) فتكون هناك مذبحة أخرى فى « الفرات » .

يقول سيدنا « إرميا » :

« مَن هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواهها . تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه . فيقول أصعد . وأغطى الأرض . أهلك المدينة والساكنين فيها ...... فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه فيأكل السيف ويشبع ويرتوى من دمهم . لأنَّ للسيد رب الجنود ذبيحة فى أرض الشمال عند نهر الفرات .

---

(١) راجع سفر أرميا .

اصعدى إلى جلعاد وخذى بلساناً يا عذراء بنت مصر . باطلاً تكثرين العقاقير . لا رفادة لك . قد سمعت الأمم بخزيك وقد ملأ الأرض عويلك لأنّ بطلاً يصدم بَطلاً فيسقطان كلاهما معاً »[1] .

(إرميا ٤٦ : ٧ - ١٢)

أيكتفى بابتزاز ثرواتنا وامتصاص إنتاجنا ، نُرضعها بنى عمنا ؟ أم لا بد من استرقاقنا ، فى خضوع العبيد الساجدين لدى باطن الأقدام « ككباش » فى صورة أشد بشاعة من الطريقة - إياها - يوم استعرضوا الأسرى ، عندما دخلوا « غزة » عام ١٩٥٦ وهتف أطفالهم على جسر « بنات يعقوب » :

« موسى مات ... خلف زلمات ... محمد مات ... خلف بنات » !!

ولعل الصورة الرحيمة الودية ، عن نوع العلاقات المستقبلة بين العرب واليهود هى تلك التى تعرضها مناهج التعليم الإسرائيلية على ما تتسم به الكتب المطبوعة المعلنة من حذر ومداراة أمام مايسمى بالرأى العام العالمى .

ففى قصيدة للشاعر اليهودى « ى . د . قمزون » بعنوان : «على قبر راحيل » يتحدث فيها عن صورة متخيَّلة عند هذا القبر الذى يؤمه اليهود على الطريق الموصل بين بيت لحم والقدس وهى صورة تُعبِّر عن السلام الذى يريده اليهود حيث يتخيَّل يهودياً يقف هناك فيمر به عربى على حماره وهو يحمل فوقه سَلَّتين اثنتين من القرنبيط والبصل ، ويجرى الكاتب على لسان هذا العجوز العربى

(١) راجع سفر إرميا .

ما يُصوِّر حالة الاستعباد فى المستقبل الذى يوده اليهود للعرب بعد السلام وقد جاء فيه ما ترجمته :

« حين مجيئك أيها اليهودى إلى بيت لحم سوف ترى عربياً عجوزاً راكباً حماره وسَلَّتين إلى جانبه مشبتتين على متن الحمار . وبداخل سَلَّتيه القرنبيط والبصل وعلم إسرائيل مرفوع بيده . يرفرف على الجانبين ويقول : أنا السلام . وعملى أنا أبيع ما فى سلَّتى . ما بين بيت لحم وأورشليم أذهب وأعود . ورغبتى بالسلام وليس بالحرب . سلام على إسرائيل وسلام على العرب » (١) .

وكان إشعياء قد قال عن مصر : « وحى من جهة مصر هو ذا « الرب » راكب على « سحابة » سريعة وقادم إلى مصر ... « ويذوب » قلب « مصر » داخلها . و « أهيج » « مصريين » على « مصريين » فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه «مدينة مدينة » ..... وتهراق « روح مصر » داخلها ..... وتنشف المياه من البحر « ويجف » النهر وييبس وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقى مصر ويتلف القصب والأسل . « والرياض» على النيل على حافة النيل وكل مزرعة على النيل « تيبس وتتبدد » ..... فى ذلك اليوم « تكون مصر » كالنساء فترتعد وترجف من هزة يد رب الجنود التى يهزها عليها ..... فى ذلك اليوم يكون فى « أرض مصر » (لا قدَّر الله) « خمس مدن » « تتكلم بلغة كنعان » (يقصد اللغة العبرية) (إشعياء ١٩ : ١ - ١٨) .

---

(١) مظفر الحسينى : العلاقات والسلام فى مناهج التعليم اليهودى - الدعوة العدد ٣٩ - رمضان سنة ١٣٩٩ هـ .

ويتفق كل أنبياء إسرائيل على هلاك المنطقة بأسرها بحيث تكون الأغانى مراثى وفى كل بيت مناحة كمناحة الوحيد .

وتؤمِّن الخطة الإسرائيلية أرض المملكة وما يحيط بها من أراض بعيدة غريبة وفق مبادئ عقائدية وتشريعية تمهد الطريق لقيام المملكة التى سيعلن ملكها من الهيكل بُشرى ، « السلام العالمى » .

فقد كان « رب الجنود » قد شرع لشعبه من قبل قوانين الحرب والسلام فى سفر « تثنية الإشتراع » و « يشوع » و « صموئيل الأول » وغيرها من الأسفار .

حدَّد لهم أسلوب معاملة الشعوب المحيطة بهم القريبة منهم – أى التى تسكن أرض الموعد فى المنطقة الداخلة فى حدود المملكة الموعودة من النيل إلى الفرات .

وبيَّن لهم طريقة معاملة الشعوب البعيدة – أى التى تقطن البلاد الأخرى فيما وراء حدود المملكة .. فيما بعد « جاسان » غرباً ، (محافظة الشرقية فى مصر) وما بعد « الفرات » شرقاً ، وفيما وراء « العقبة » جنوباً ، وما بعد « صيدا » من الشمال .

فإذا قدمت إسرائيل لحرب « شعوب الدائرة الثانية » (البعيدة) وأنذرتها بالصلح . وآثرت هذه الشعوب السلامة وفتحت أبوابها لليهود فتكون هذه الشعوب للتسخير والاستعباد . هذا فى حالة الصلح والسلام . أما إذا كانت الحرب فقد أمرهم « رب الجنود » بقتل جميع الذكور وإبادتهم نهائياً . وأما النساء والأطفال والبهائم والأموال والديار وكل ما تبقى بعد هلاك الرجال والشباب فهى غنيمة مباركة من الرب يأكلها شعبه بالهناء والشفاء !!

هذا عن الصورة « الرحيمة » ..

أما شعوب « الدائرة الأولى » (المنطقة الداخلة فى حدود مملكة قديس العلى) من النيل إلى الفرات فقرار الإعدام لكل شئ فيها نهائى ... لا نقض فيه ولا إبرام ... سواء سالمت هذه الشعوب أو حاربت ... صالحت واستسلمت أو غضبت وتمردت .... مذبحة جَماعية ... لا تستبقى نسمة واحدة : رضيعاً أو طفلاً أو امرأة أو شيخاً ... ولا بهيمة : هزيلة أو سمينة .

وهذه هى الشريعة تتكلم :

« حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك . هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة عنك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلٰهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك »(تثنية ٢٠ : ١٠ - ١٧) .

وحدث « لأريحا » التى فاجأها بنو إسرائيل ليلاً والناس نيام بعد أن سهّلت لهم « راحاب » الزانية الخائنة عملية الدخول إلى ديار قومها ما يقصه « سِفر يشوع » فى عرِى صريح :

« ... وحرِّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ..... وأحرقوا المدينة بالنار

مع كل ما بها . إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها فى خزانة بيت الرب ... واستحيا « يشوع » « راحاب » الزانية وبيت أبيها وكل مالها . وسكنت فى وسط إسرائيل إلى هذا اليوم . لأنها « خبأت » المرسلين اللذين أرسلهما « يشوع » لكى يتجسسا أريحا » (يشوع ٦ : ٢١ - ٢٥) .

إنّ الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية قائم على أساس المطالبة بالملكية الاحتكارية اليهودية والسيطرة الحكومية القومية اليهودية على فلسطين ، أرض إسرائيل ! وكان حتماً لزاماً بنا على هذا الأساس أن تلجأ الحركة إلى الادعاء بحقوق تاريخية (اللّه أعلم بمعناها) ، ثم تثبت هذه الادعاءات بالتحقيق الناجح لمراميها ، أى بالغزو . وعلينا أن نتذكر أن تلك الدعاوى التاريخية تقوم ابتداءً على الغزو أيضاً ، الذى ترتبت عليه السيطرة قديماً على تلك البقعة ، وصار ذلك هو المبرر المعتاد للتوسع فى رقعة تلك الدولة واحتلال الأراضى . فقد قام يشوع بن نون بغزو أرض كنعان ، وقام - بدعوى الأمر الإلهى - بالقضاء الجماعى على سكان هذه الأرض الوثنيين . وأنّ حركة تقيم مشروعها على حقوق تاريخية ، وترجع بتلك الحقوق إلى حدث تاريخى سداه ولحمته الإبادة الجماعية لسكان بلد احتلوه ، لا بد أن تُصوِّر مجرماً خطيراً - هو يشوع بن نون - فى صورة البطل القومى ، بكل ما يلائم هذا التصوير من تهاويل ثقافية واجتماعية وسياسية وهذا ما نحن بصدده . وتلك هى القضية [١] .

* * *

---

(١) توطئة لكتاب « عربى فى إسرائيل » - فوزى الأسمر - ترجمة نظمى لوقا وصوفى عبد الله .. ص ١٣

أورشليم الذهبية

يقول اليهودى اليسارى الكاتب يورى داڤيز : قدّم مغنى شاب اسمه « شولى ناثان » أغنية للشاعر « نعومى ناشين » بعنوان « أورشليم الذهبية » وكانت نغمات الأغنية وأشعارها على لسان كل جندى يحارب للاستيلاء على أورشليم (القدس) وهذه هى كلمات الأغنية :

- « أورشليم الذهبية :
- هواء الجبال الصافى كالنبيذ ، وعبير الصنوبر .
- تحمله رياح المساء ، مع صليل الأجراس ،
- وفى نعاس الأشجار والصخور ، الغارقة فى أحلامها ،
- مدينة مفردة ، مدينة النحاس والنور
- إنى حقاً لقيثارة جميع أغانيك !
- كيف جفّت صهاريج الماء ، وخلت السوق على عروشها
- وما من أحد يزور الجبل المقدس فى المدينة العتيقة ؟
- والرياح فى الكهوف ، بين الصخور ، ينبعث منها الأنين .

- ولا أحد ينزل إلى البحر الميت فى الطريق إلى أريحا ؟
- يا أورشليم الذهبية ...
- ولكنى عندما أغنى لك اليوم وأعقد الأكاليل حول رأسك ،
- أرانى أقل شأناً من أصغر بنيكِ ،
- وأهون شعرائك
- فذكر اسمك يحرق الشفاه كقُبلة ملاك ،
- لو نسيتك يا أورشليم ، يا من كلها من الذهب ،
- يا أورشليم الذهبية ...
- لقد عدنا إلى صهاريج الماء ، إلى مكان السوق والميدان
- والنفير اليوم يدوى على الجبل المقدس فى المدينة العتيقة
- وفى الكهوف بين الصخور تتلألأ ألف شمس .
- ومرة أخرى سنهبط إلى البحر الميت فى الطريق إلى أريحا
- يا أورشليم الذهبية .... »

ويُعلِّق يورى داڤيز (الكاتب اليهودى المعروف) على هذه الأغنية الخاوية والخالية من كل معنى - واقعى أو تاريخى - بقوله :

« وعلى مدى عشرين سنة كان فى استطاعة اليهود الإسرائيليين أن يروا الحافلات (الأوتوبيسات) الأردنية تشق طريقها من أورشليم الشرقية (القدس) إلى أريحا والرملة وبيت لحم ، وعلى

مدى عشرين سنة غطت الصحف الإسرائيلية بهمة ونشاط كل احتفال بعيد الميلاد بمناسبة قدوم الحجاج من المسيحيين العرب وغير العرب إلى أورشليم الشرقية (القدس) عن طريق بوابة مندلياوم . وعلى مدى عشرين سنة ظل طوفان متصل من السائحين يدخل دولة إسرائيل من الأردن عبر المدينة المقسمة ليلتقوا بإسرائيليين متلهفين يسألونهم بالتفصيل عن نوع الحياة وراء الحدود ، وعن الناس ، وعن اتجاهاتهم السياسية ، وأحوالهم المعيشية اليومية ، وعلى مدى عشرين سنة كان فى وسع المرء أن يرى من أراضى قصر المندوب السامى البريطانى السابق (الذى صار مقر قيادة الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٤٩) قبة مسجد عمر الذهبية ، وقبة المسجد الأقصى الفضية فى فناء الجبل المقدس ، وأن يرى المسلمين يتجمعون هناك لأداء فروض الصلاة خمس مرات كل يوم ، ويرى جماعات السائحين المختلفى الألوان داخلة وخارجة من ذلك المكان ، ويرى حركة المدينة الدائبة وروائع عماراتها ، ومع هذا ....

- « كيف جفّت صهاريج الماء ، وخلت السوق على عروشها
- ولا أحد يزور الجبل المقدس فى المدينة العتيقة .
- وفى الكهوف داخل الصخور تئن الرياح .
- ولا أحد يهبط إلى البحر الميت فى الطريق إلى أريحا ؟ » (١)

كم هو تجلى ؟!

أغنية ١٩٦٧ للشاعر « ناعومى شامير » تقول : إنّ أرض فلسطين وعلى رأسها القدس كانت خربة .

---

(١) عربى فى إسرائيل - فوزى الأسمر - ترجمة نظمى لوقا وصوفى عبد الله .

- « جفّت صهاريج المياه ، وخلت السوق على عروشها
- ولا أحد يزور الجبل المقدس فى المدينة العتيقة ،
- وفى الكهوف داخل الصخور تئن الرياح ،
- ولا أحد يهبط إلى البحر الميت ، فى الطريق إلى أريحا »

وفلسطين وعلى رأسها القدس الشريف مكتظة بالسكان ، عامرة بالمواطنين منذ أن دخلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فاتحاً .

إنَّ فلسطين – رضى نعومى شامير أو المغنى شارلى ناثان أو لم يرضيا – فهى منذ الفتح الإسلامى كانت معمورة وحتى هذه اللحظة بالعرب ، والشعوب الفلسطينية الإيجية الأصل على الشاطئ والعمران فيها كغيرها من بلدان المسلمين إضافة إلى الأسواق والسياح وحجيج المسجد الأقصى وكنيسة القيامة والطريق المتلئ ذهاباً وجيئة من البحر الميت فى طريق أريحا العامر بسكانه وجميع المركبات ووسائل النقل الأخرى .

« ونختم هذه النقطة بشهادة أحد كبار اليهود أنفسهم .

يقول « ألفريد لييننتال » فى كتابه المعجب « ما ثمن إسرائيل » (WHAT PRICE ISRAEL) :

« وعلى امتداد العصر المسيحى كله استمر الحجم البَشرى لسكان فلسطين عربياً » ...

(Thro ghout the entire christian era , the bulk of Palestine's poyulation continued to be Arab) (١) .

* * *

(١) What price Israel - Alfred Lilinthel . P . 19

زهرة المدائن

« لأجلك يا مدينة الصلاة ... أُصلّى
يا زهرة المدائن
يا بهية المساكن
يا قدسُ .. يا مدينة الصلاة ... أُصلّى
عيوننا إليكِ ترحل كل يوم
تدور فى أروقة المعابد
تعانق الكنائس القديمة
وتمسح الحزن عن المساجد
عيوننا إليكِ ترحل كل يوم
يا ليلة الإسراء
يا درب مَن مرُّوا إلى السماء
عيوننا إليكِ ترحل كل يوم .. وإننى أُصلّى
الطفل فى المغارة وأُمه مريم
وجهان يبكيان

لأجل مَن تشرَّدوا
لأجل أطفال بلا منازل
لأجل مَن دافع واستشهد فى المدائن
واستشهد السلام فى وطن السلام
وسقط العدل على المداخن
حين هوت مدينة القدس
تراجع الحب
وفى قلوب الدنيا استوطنت الحرب
الغضب الساطع آت
وأنا كلى إيمان
سأمرُّ على الأحزان
من كل طريق آت
بجياد الرهبة آت
وكوجه الله الغامر
الغضب الساطع آت
وأنا كلى إيمان
سأمرُّ على الأحزان
من كل طريق آت

بجياد الرهبة آت
وكوجه اللّه الغامر
لن يُقفل باب مدينتنا
وسأفتح ها الأبواب
وستغسل يا نهر الأردن
وجهى بمياه قدسية
وستمحو يا نهر الأردن
آثار القدم الهمجية
الغضب الساطع آت
بجياد الرهبة آت
وسيهزم وجه القوّة
البيت لنا .. والقدس لنا
وبأيدينا سنعيد بهاء القدس
بأيدينا للقدس سلام
للقدس سلام » .

* * *

(١) أغنية تشدو بها فيروز مع تكرار حلو وممتع للمقاطع مصحوباً بالموسيقى التصويرية .

تعليق على أنشودتين

قد نكتفى بتعليق الكاتب اليهودى المعروف « يورى دافيز » على أغنية « أورشليم الذهبية » التى اعتبرها مؤلف الأغنية ومغنيها خالية خاوية من السكان فى قولهما :

- « كيف جفّت صهاريج الماء ، وخلت السوق على عروشها .
- ولا أحد يزور الجبل المقدس فى المدينة العتيقة
- وفى الكهوف داخل الصخور تئن الرياح
- ولا أحد يهبط إلى البحر الميت فى الطريق إلى أريحا »

ويعلق الكاتب اليهودى « دافيز » على هذه الأغنية الخالية والخاوية من كل معنى تاريخى بقوله :

« وعلى مدى عشرين سنة كان فى استطاعة اليهود الإسرائيليين أن يروا الحافلات (الأوتوبيسات) الأردنية تشق طريقها من أورشليم الشرقية (القدس) إلى أريحا والرملة وبيت لحم . وعلى مدى عشرين سنة غطت الصحف الإسرائيلية بهمة ونشاط كل احتفال بعيد الميلاد بمناسبة قدوم الحجاج من المسيحيين العرب وغير العرب إلى أورشليم الشرقية (القدس) عن طريق بوابة مندلياوم

وعلى مدى عشرين سنة ظل طوفان متصل من السائحين يدخل دولة إسرائيل من الأردن عبر المدينة المقسمة ليلتقوا بإسرائيليين متلهفين يسألونهم بالتفصيل عن نوع الحياة وراء الحدود ، وعن الناس ، وعن اتجاهاتهم السياسية ، وأحوالهم المعيشية اليومية ، وعلى مدى عشرين سنة كان فى وسع المرء أن يرى من أراضى قصر المندوب السامى البريطانى السابق (الذى صار مقر قيادة الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٤٩) قبة مسجد عمر الذهبية ، وقبة المسجد الأقصى الفضية فى فناء الجبل المقدس ، وأن يرى المسلمين يتجمعون هناك لأداء فروض الصلاة خمس مرات كل يوم ، ويرى جماعات السائحين المختلفى الألوان داخلة وخارجة من ذلك المكان ، ويرى حركة المدينة الدائبة وروائع عماراتها » .

وقلنا فى تعليقنا : إنَّ فلسطين وعلى رأسها القدس الشريف كانت مكتظة بالسكان عامرة بالمواطنين منذ أن دخلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتحاً .

وإنَّ فلسطين - رضى « نعومى شامير » أو المغنى « شارلى ناثان » أو لم يرضيا - فهى منذ الفتح الإسلامى كانت معمورة وحتى هذه اللحظة بالعرب وحجيج المسجد الأقصى وكنيسة القيامة والطريق الممتلئ ذهاباً وإياباً من البحر الميت فى طريق أريحا العامر بسكانه وجميع المركبات ووسائل النقل الأخرى .

يقول « ألفريد ليننتال » فى كتابه المعجب « ما ثمن إسرائيل » (WHAT PRICE ISRAEL) :

« وعلى امتداد العصر المسيحى كله استمر الحجم البَشرى لسكان فلسطين عربياً » .

أى قبل دخول بنى إسرائيل غزواً إلى فلسطين كان الحجم البَشرى عربياً .

هذا ما يقوله غيرنا بأنَّ صهاريج المياه قد جفَّت ، ولا أحد يزور الجبل المقدس ، وخلت السوق على عروشها ، وفى الكهوف داخل الصخور تئن الرياح ، ولا أحد يهبط البحر الميت فى الطريق إلى أريحا .

● أما نحن فنقول : بأننا نُصلّى لأجل مدينة الصلاة ونصفها بأنها : بهية المساكن ، وزهرة المدائن ، وأنَّ عيوننا ترحل إليها كل يوم .... والرحلة ليست عادية ، إنما تدور فى أروقة المعابد تعانق الكنائس القديمة وتمسح الحزن عن المساجد .

ونذكر بأنَّ ليلة الإسراء هى درب مَن مرُّوا إلى السماء . وأنَّ المسيح عليه السلام وأمه مريم كانا فى المغارة يبكيان لأجل أطفال بلا منازل ولأجل مَن استشهد فى المدائن ... وطبعاً استشهد السلام فى وطن السلام ، وسقط العدل على المداخن .

ونذكر تماماً أنه حين هوت مدينة القدس تراجع الحب ، وفى قلوب الدنيا استوطنت الحرب .

ونذكر أنَّ الغضب الساطع آت ... غضب اللّه بالطبع . مكلَّلاً بالإيمان . ونأمل أن يأتى غضب اللّه من كل طريق مروراً بالأحزان ، وأنَّ وجه اللّه الغامر سيملأ القدس محبة وسلاماً ، ونأمل ألا يُقفل باب مدينتنا « القدس » ، وأن اللّه سيساعدنا بفتح هذه الأبواب ..

أبواب القدس . وكلنا أمل أن يغسل نهر الأردن وجوهنا بمياهه القدسية ، راجين أن تمحى أثر القدم الهمجية .

فكما هو معروف : القدس لنا ، والبيت لنا ، وسنعيد بهاء القدس ، وبأيدينا للقدس سلام .

* * *

فمَن إذن يريد السلام فى أرض السلام ؟ نحن .. أم نعومى شامير ومغنيه ؟! ومن على شاكلتهما من أصحاب الحرب المقبلة ؟! ومعظم الشعر الإسرائيلى ، وهرمجدون ، أو الذين أوصوا بتمزيق الوصايا العشر ؟!

أما نحن .. فنريد سلام العقيدة والشريعة والمنهاج .

* * *

مراجع الكتاب

(أ) المراجع العربية :

١ - القرآن الكريم .

٢ - تفسير القرطبى .

٣ - تفسير أبى السعود .

٤ - تفسير الطبرى .

٥ - إظهار الحق - للإمام العلاّمة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثمانى الكيرانوى .

٦ - الكتاب المقدس .

٧ - التمرد .. قصة الأرجون - تأليف مناحم بيجن .

٨ - الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية - تأليف رشاد عبد الله الشامى .

٩ - كيف يفكر زعماء الصهيونية - تأليف أمين هويدى .

(ب) المراجع الأجنبية :

1 - ISRAEL'S WISDOM LITERATURE . BY : O . S . RANKIN .

2 - A History of Christian Missions . By : STEPHEN NEILL .

3 - WHAT PRICE ISRAEL. By : Alfred M . Lilienthal

4 - FREE MASONRY . By : FAROUQI .

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

* * *

كتب للمؤلف

١ - الماسونية (عقدة المولد .. وعار النهاية) .

٢ - المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩ م - ١٩٢٣ م) .

٣ - البهائية (صليبية الغرس .. إسرائيلية التوجيه) .

٤ - شالوم عليخم (السلام عليكم)
دراسة فى أدبيات السلام الإسرائيلى .

* * *

رقم الإيداع
٩١ / ٨٠٣٠
I. S.B. N
977-55-2196-2

طبع بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢

كتب للمؤلف

- الماسونية .. عقدة المولد .. وعار النهاية
- المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية
عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩م ـ ١٩٢٣م
- البهائية .. صليبية الغرس .. إسرائيلية التوجيه